القصص العالمية للجميع

عدالة السماء

اجاثا كريستي

ترجمة

د. فاروق خواتمي

منشورات

المكتبة الحديثة - بيروت

دار الشرق العربي - بيروت

أجاثا كريستي

بقلم أجاثا كريستي

ولدت فى مقاطعة ديفونشير بانجلترا ، وقضيت طفولة سعيدة الى أقصى درجات السعادة ، تكاد تكون خلوا تماما من أعباء الدروس والاستذكار ، فانفسح لى الوقت كى أتجول فى حديقة بيتنا الواسعة وأسبح مع الخيـال ما شاء لى الهوى

والى والدتى يرجع الفضل فى اتجاهى الى الكتابة والتاليف ، فقد كانت سيدة ذات فتنة ، ساحرة الشخصية ، قوية التأثير ، وكانت تعتقد اعتقادا راسخا ان اطفالها قادرون عـلى كل شيء ٠٠ ففى ذات يوم ـ وقد اصبت ببرد شديد الزمنى الفراش ـ قالت لى :

ـ خير لك أن تقطعى الوقت بكتابة قصة قصيرة وانت فى فراشك

ـ ولكنى لا أعرف ٠٠

ـ لا تقولى لا أعرف ، فانك « طبعا » تعرفين ٠٠٠ حاولى فقط وسترين

وحاولت ، ووجدت متعة فى المحاولة ، فقضيت السنوات القليلة التالية أكتب قصصا قابضة للصدر ، يموت معظم ابطالها ، كما كتبت مقطوعات من الشعر ورواية طويلة احتشد فيها عدد هائل من الشخصيات بحيث كانوا يختلطون ويختفون لشدة الزحام ثم خطر لى أن أكتب رواية بوليسية ، ففعلت واشتد بى الطرب حينما قبلت الرواية ونشرت ٠٠٠ وكنت حـين كتبتها متطوعة فى مستشفى تابع للصليب الاحمر ابان الحرب العالمية الاولى

واذا سألتمونى عن ميـولى ، فاعلموا انى احب الأكل وأكره طعم كل مشروب يدخل فى صناعته الكحول ، واننى حاولت التدخين مرارا فلم اجد ما يغرينى بالمداومة عليه ٠ ولكنى أعبـد الأزهار ، وأهيم بالبحر وأحب المسرح ، وأكره الافلام النـاطقة ، ويعجز تفكيرى عن متابعتهـا ، وأكره الاذاعة وكل ما يحدث ضجة وضوضاء ، وأكره حياة المدن

وهوايتى السـفر ، ولا سـيما فى بلدان الشرق الادنى لاننى احب الصحراء حبا جما

اهم شخصيات الرواية

هيركيول بوارو « Hercule Poirot » المخبر السرى الخاص

آمياس كريل « Amyas Crale » الفنان المتقلب

كارولين كريل « Caroline Crale » زوجة الرسام المتهمة بالقتل

كارلا لامرشانت « Carla Lemarchant » ابنة كارولين والرسام كريل

جون رايترى « John Rattery » خطيب كارلا لامرشانت

فيليب بليك « Philip Blake » سمسار بالبورصة والصديق الوفى للرسام كريل

ميرديث بليك « Meredith Blake » من الاعيان والشقيق الاكبر لفيليب بليك

الزا جرير « Elsa Greer » غانية لعوب واسعة الثراء

انجيلا وارين « Angela Warren » الأخت غير الشقيقة لكارولين كريل

سيسيليا ويليامز « Cecilia Williams » المربية الخاصة **لانجيلا وارين**

مفتش البوليس هيل « Superintendent Hale »

الفصل الأول

الحسناء كارلا

نظر هيركيول بوارو فى شىء من الفضول والاعجاب الى الغـادة الحسناء التى راحت تقترب من مكتبه

لم يكن فى الرسالة القصيرة التى بعثت بها اليه شىء واضـح . مجرد رجاء بأن يحدد لها موعدا للمقابلة · ولا شىء غير هـــذا الا التوقيع باسمها : كارلا لامرشانت

وها هى ذى تأتى اليه بنفسها فى الموعد المحدد : طويلة،رشيقة، فى أوج الشباب ، فى نحو الثانية والعشرين ، جميلة ، أنيقة ، تنم ثيابها عن موفور ثرائهـــا ، وينبىء تألق عينيها الجميلتين عن فيض الصبا والحيوية والنضارة

لقدكان هيركيول‌بوارو ــ قبل دخولها ــ يشعر بدبيب‌الشيخوخة أما الآن ، وهى تقبل نحوه ، فانه ينتفض بقوة الحياة

وفيما هو يتقدم نحوها مصافحا ، كان يشعر بعينيها الرماديتين تمعنان النظر الى وجهه ، وكأنما تريد الفتـــاة أن تنفـذ الى أعمق أعماقه

وجلست الى المكتب ، وتقبلت لفافة التبغ التى قدمها اليهـــا ، وبعد اشـعالها ، راحت تدخن فى هـــدوء دقيقة أو اثنتين ، وهى لا تزال تمعن النظر اليه فى اهتمام وتفكير

وقال بوارو فى رفق :

ــ نعم ، ينبغى أولا أن تتأكدى

فقالت فى صوت المفاجأ :

ــ أوه ، أرجو المعذرة ، ماذا ؟

ـ انك تتساءلين فى نفسك : هل أنا حقا الرجل البارع فى كشف غوامض الجرائم ، أم مجرد طبل أجوف ؟

وابتسمت وقاطعته قائلة بصوتها الموسيقى الرقيق :

ـ نعم ، نعم هذا صحيح ، فالواقع انك يا مسـيو بوارو لا تبدو فى الصورة التى كنت أتخيلها عنك !

ـ وعجوز أيضا ؟ أليس كذلك ؟ أكبر سنا مما كنت تتوقعين !

ـ نعم انني ، كما ترى ، صريحة ٠ والواقـع انى أريد أن أعهـد بمهمتى الى خير من يصلح للقيام بها

ـ اطمئنى من هذه الناحية ، فانى الرجل المنشود

ـ يبدو أنك لا تعترف بشىء اسمه التواضع يا مسيو بوارو !

ـ اننى أعترف بالحقائق فقط

ـ حسنا ، لسوف أعتمد عليك رغم المظاهر !

فقال بوارو بهدوء :

ـ ان الانسان لا يحتاج دائما الى استعمال عضلاته فى الابحـاث الجنائية ، بل اننى أحيـانا لا ألجأ الى الانحنـاء على الارض ، وشم التراب ، وقياس الآثار ، واختبار ميل العشب لأتعرف على اتجـاه السير ، وانما يكفى فى كثير من الاحيان أن أجلس ، وأفكر

ثم نقر على رأسه الصلعاء المستديرة كالكرة ، وأردف قائلا :

ـ هذه هى التى تقوم بكل ما ينبغى القيام به

ـ اننى أعرف ، وهذا ما حفزنى للحضور اليك ، فانى أريد أن تقوم لى بمهمة عجيبة

ـ لقد أثرت فضولى

ـ ان اسمى ليس « كارلا » وانما كارولين ، على اسم أمى ٠٠٠ لقد سمتنى باسمها ، وأما « لامرشانت » فهو ليس اسم أبى ، ان أبى هو أمياس كريل

فقطب بوارو جبينه مفكرا ، ثم قال :

ـ أمياس كريل ٠٠ أمياس كريل ، يخيل الى أنى أعرف هـذا الاسم

ـ انه رسام معـروف ، ويؤكد بعض المعجبين به أنه من أكبر

الرسامين الفنانين ، وأنا أعتقد هذا أيضا

ــ نعم ، نعم أمياس كريل ، ولكنني أحاول أن أتذكره بمناسبة أخرى

ــ لقد مات قتيلا ، واتهمت أمي كارولين بقتله !

ــ آه تماما ، انى أتذكر الآن ، لقد كنت يومذاك فى الخارج ، وأعتقد أن هذا قد حدث منذ سنوات طوال

ــ ستة عشر عاما !

وأردفت الفتاة قائلة ، بوجه شاحب ، وعينين زاد بريقهما :

ــ هل تفهم ؟ لقد حوكمت أمى ، وصدر الحكم بادانتها ، ولكنها لم تشنق بسبب وجود ظروف مخففة أحاطت بالحادث ، وهكذا عدل الحكم الى السجن المؤبد ، ولكنها ماتت بعد المحاكمة بعام ، ومن ثم ترى أن كل شيء قد انتهى و ...

ــ ولكن ؟!

وضغطت كارلا يديها بعضهما ببعض ، ثم قالت بصوت متهدج ، ولكنه مفعم بالعزم :

ــ أرجو أن تدرك تماما موقفى من هذا الامر كله ، كنت عند وقوع الحادث ، فى الخامسة من عمرى ، أى كنت أصغر من أن أدرك تماما ما يجرى حولى ، اننى أتذكر أبى وأمى ، طبعا ، وأتذكر أنى غادرت البيت فجأة الى الريف ، وأتذكر خراف المزرعة السمان ، وزوجة المزارع ، وأن الجميع كانوا جد شفيقين بى ، وأتذكر بوضوح الطريقة العجيبة التى كانوا ينظرون بها الى . وكنت أعرف ، كطفلة ، أن شيئا ما قد حدث ، ولكنى لم أكن أعرف طبيعة هذا الشيء

ثم أردفت قائلة بعد برهة صمت وجيزة :

ــ ثم أتذكر أنى ركبت باخرة فى البحر ، وكانت الرحلة مثيرة ، استغرقت بضعة أيام ، وعندما وصلت الى كندا ، استقبلنى العم سيمون ، وعشت معه ، ومع زوجته العمة لويز ، وكنت كلما سألتهما عن أبى وأمى ، قالا أنهما سيلحقان بى سريعا . وعلى مر الايام نسيت أمرهما ، بعد أن عرفت ، دون أن يخبرنى أحد ، أنهما ماتا . وعشت سعيدة فى كندا ، فقد كان العم سيمون والعمة لويز

أنموذج الطيبة والشفقة والحب • وذهبت الى المدرسة ، وتعرفت بصديقات كثيرات ، ونسيت ، تقريبا، كل شيء عن حياتي السابقة، وأنا دون الخامسة ، وحتى اسمي ، أصبح كارلا لامرشانت بدلا من كارولين كريل

ثم نظرت كارلا في وجه بوارو بامعان برهة ، واستطردت تقول :

ــ إنظر الى وجهي • انك ، حين تراني في الطريق ، أو وأنا أستقل سيارتي الخاصة الفاخرة ، ستشير الى وتقول : « هذه فتاة جمعت بين الجمال والمال والشباب ، وليس لها في هذه الدنيا ما يثقل عليها أو يحز في نفسها » وهذا هو الواقع الى حد ما ، فأنا شابة ، وجميلة ، وثرية ، وليس في الدنيا فتاة أتمنى أن أكون مثلها ، ولكنني ، مع هذا كله ، بدأت اسأل عن أبي وأمي : من هما ؟ وماذا فعلا ؟ وكيف ماتا ؟• ولم يكن ثمة مفر من أن أعرف في النهاية كل شيء

ومرة أخرى صمتت كارلا برهة ، قبل أن تستأنف حديثها قائلة:

ــ ولم يسع العم سيمون والعمة لويز الا أن يخبراني بالحقيقة ، كل الحقيقة ، لاني حين بلغت الحادية والعشرين من عمري ، أصبحت حرة التصرف في الثروة الطائلة التي تركها أبواي لي ، ولانه أصبح من حقي ، وأنا في هذه السن ، أن أقرأ الخطاب الذي تركته لي أمي وهي على فراش الموت • ومن هذا الخطاب ، علمت الحقيقة الرهيبة : علمت أنها اتهمت بقتل أبي ، وقدمت للمحاكمة ، وصدر عليها الحكم بالسجن المؤبد ، ويا لها من مفاجأة قاسية

وتوقفت برهة أخرى ، ثم عادت تقول :

ــ وهناك شيء آخر ينبغي أن أصارحك به ، فأنا أتبادل الحب مع شاب أعتبره مثلي الأعلى في الحياة ، ورغم أن الجميع لا يعترضون على زواجنا ، فقد طلبوا مني ارجاء الزواج حتى أبلغ الحادية والعشرين من عمري ، وقد عرفت الآن لماذا !

فقال بوارو وقد أدرك حقيقة الموقف :

ــ وهل عرف خطيبك الحقيقة ؟

ــ نعم ، طبعا ، أخبرته بها كلها

ـ وما رأيه ؟ ماذا كان رد الفعل فى نفسه ؟

ـ قال : « ان الحب الحقيقى الذى يجمع بيننا لا يحفل بأحداث الماضى ، وانما المهم هو المستقبل »

ثم مالت الى الامام وأردفت تقول :

ـ اننا لازلنا مخطوبين ، ولكننى أفكر ، بل أنوى ، أن أفسخ الخطبة ، اذا لم أتأكد من براءة أمى نعم ، لا تعجب يا مسيو بوارو ، لسوف أخبرك لماذا أوقن ببراءة أمى ، والمهم الآن أن أؤكد لك انى لا أستطيع أن أتزوج ، وأنجب أطفالا ، وأعيش طول عمرى فى خزع ، حتى لا يعرف أطفالى حقيقة مأساة جديهما لأمهما . اننى لا أستطيع أن أحتمل أن يشار اليهم على أنهم أحفاد السيدة التى قتلت زوجها

فقال بوارو :

ـ ألا تعرفين أنه لا يوجد الانسان الذى يستطيع أن يزعم أنه ينحدر من أصلاب أجداد لم يرتكبوا فى حياتهم ما هو أسوأ من جرائم القتل ؟

ـ انك لا تدرك ما يدور بنفسى ، حقا انه لا يوجد مثل هذا الانسان ، ولكن معظم الناس لا يعرفون هذه الحقائق عن يقين واثبات كما أعرفها أنا عن أبوى ، وكما سيعرفها أولادى عن جديهما . وليس أدل على خطورة السيف المعلق على رأسى ، من أنى رأيت جون ، خطيبى ، يختلس النظر الى ، بعد أن عرف هذه الحقيقة ، فى شىء من الحيرة والتوجس ، فكيف اذا تزوجنا ، ثم حدث بيننا هذا الخصام الذى يحدث عادة بين الازواج ، ثم أرسل الى هذه النظرة الزاخرة بالحيرة والتوجس . أقول كيف يكون موقفى اذا رأيته ينظر الى ، وكأنما يخشى أن أقتله كما قتلت أمى أبى ؟

ـ كيف قتل أبوك ؟

ـ بالسم

ـ آه ، انك على حق

ـ شكرا لله أنك أدركت حقيقة مشاعرى . لقد أدركت أن هذا الأمر يهمنى ، ويؤثر فى مستقبلى ، ومن ثم لا تحاول أن تواسينى بعبارات جوفاء ، أو أن تقنعنى بأن هذه مسألة عفى عليها الزمن

ـ انني في الواقع مدرك تماما حرج مركزك يا مس لامرشانت ولكنني لا أعرف على وجه التحديد ماذا تريدين مني

ـ أريد أن أتزوج جون ، وأنوى أن أتزوجه ، وأن أنجب منـــه على الاقل ولدين وبنتين،والمطلوب منك أن تجعل هذا كله ممكنا٠٠٠

فابتسم بوارو وقال :

ـ انني تحت أمرك ، ولكن كيف السبيل ؟

ـ اسمع يا مسـيو بوارو ، انني أريد أن أكلفك باعادة البحث والتحرى لكشف الحقيقة عن سر مقتل أبي ، ولسوف أدفع لك كل ما تريد من مال

ـ ولكن ٠٠٠

ـ انني أعرف أن جريمة القتل ، هي جريمة القتل ، سواء وقعت اليوم ، أو منذ عشرين عاما

ـ ولكن يا آنستي العزيزة ، أريد أن ٠٠٠

ـ أوه ، انتظـــــر برهة يا مسيو بوارو ، فان في المسألة نقطة هامة ، ينبغي أن تعرفها

ـ وما هي ؟

ـ هي أن أمي بريئة

ـ لا عجب أن تؤمن الابنة ببراءة أمها ، برغم كل ٠٠٠

ـ لا لا ، ليس للعاطفة دخل في هذا الشعور ببراءة أمي يا مسيو بوارو ، وانما هو خطابها هذا ، لقد تركته لي قبل وفاتها، واستلمته حين بلغت الحادية والعشرين من عمري ، وهي لم تكتبه الا لغـرض واحد وهو اقناعي تماما ببراءتها ٠ ولقد أقسمت لي فيـه ، وهي على فراش الموت ، أنها بريئة ، وانني يجب أن أومن ببراءتها

فقرأ بوارو الخطاب ثم نظر في شيء من التفكير ، ثم قال :

ـ هكذا كلهم يقولون ذلك

ـ لا ، لا ٠ ليست أمي من النـوع الذي يكذب ليريح ضـــمير الغير ٠ ان الاطفال عادة يتذكرون أشياء لا تكاد تخطر ببال أحد أنهم يتذكرونها ، ومن بين ذكرياتي القليلة عن أمي ، أنها من النوع الذى لا يكذب أبدا ، كان الصـــدق طبيعة فيها ، ومن ثم فاني أتذكـــر اني كنت شديدة الثقة بها وأنا طفلة ، ولا زلت حتى الآن أشـــعر

بهذه الثقة التى لا حد لها ، ومن ثم اذا قالت انها لم تقتل أبى ، فهى لم تقتله مطلقا ، انها ليست من النوع الذى يقسم كذبا وهو على فراش الموت ، مهما يكن السبب

وأومأ بوارو برأسه فى بطء ، بينما استطردت كلارا تقول :

ـ اننى أستطيع أن أتزوج بجون وأنا مطمئنة الى براءة أمى ، ولكن هو ، ما شعوره ؟ كيف أقنعه ببراءتها ، كيف أجعله لا ينظر الى فى خوف ، اذا اختلفت معه لأى سبب بعدالزواج ؟اننى أريد أن أثبت له بالدليل الحاسم أنها بريئة ، وأنه ليس هناك ما يدعوه الى أن ينظر الى هذه النظرة الخائفة فى مستقبل الايام

ـ لنفرض أن أمك بريئة حقا ، كيف يمكن اثبات براءتها ، بعد أن مضى على الحادث ستة عشر عاما ؟

ـ أنا أعرف أن الأمر من هذه الناحية جد عسير ، وأعرف أيضا أنه لن يكون فى وسع أحد غيرك أن يقوم بهذه المهمة

فابتسم بوارو وقال :

ـ انك تنفخين فى بقوة !

ـ لقد سمعت عنك ، وسمعت عن الاعمال الباهرةالتى قمت بها، وكيف قمت بها ، سمعت أنك تستطيع أن تكشف غوامض الجريمة وأنت جالس فى مكتبك بعد أن نوضع أمامك كل الملابسات المحيطة بها ، أى دون أن تحتاج الى فحص أعقاب السجائر ، أو قياس آثار الاقدام ، أو شم تراب الارض . ومن حسن الحظ أن جميع الذين كانوا فى بيت أبى أثناء موته لا يزالون على قيد الحياة

ـ حسنا يا آنسة ، لسوف أجمع الحقائق من هؤلاء الاحياء،وأعيد البحث والتحرى ، وأرجو أن أصل الى الحقيقة

فلما نهضت وهى تشكره ، قاطعها قائلا :

ـ اننى سأبحث عن الحقيقة أيا كانت يا مس لامرشانت هل تفهمين ؟

ـ نعم ، اننى أريد الحقيقة الخالصة ، فاذا ثبت لى ، يقينا ، أن أمى هى القاتلة ...

وصمتت برهة قبل أن تردف قائلة :

ـ يجب أن أدفع ثمن الجريمة ، وأعتزل الحياة فى دير لأدعو لها بالرحمة والغفران

الفصل الثانى

مفتش البوليس

قال مفتش البوليس ، هيل ، وهو ينفث دخان بيبته :

ـ هذا عجيب يا مسيو بوارو ، كيف يمكنك أن تعـاود البحث والتحرى لكشف غموض جريمة وقعت منذ ستة عشر عاما ؟

ـ اننى أعرف أنه أمر غير مألوف ، ولكن ...

ـ ولكن ، لماذا كل هذا العناء ؟

ـ من أجل البحث عن الحقيقة ، ومن أجل كلارا ومستقبلها . ان حياتها الآن بين يدى ، فاما أن أتيح لها الفرصة لان تتزوج وتنعـم بالحياة كما ينبغى ، واما أن تعتزل هذه الحياة فى دير

فهز مفتش البوليس كتفيه وقال :

ـ انك رجل نابغ يا مسـيو بوارو ، فما ضرك لو انك اخترعت لها قصة قائمة على سلسلة من التحريات الوهمية لاقناعها ، أعنى ، لاثبات براءة أمها

ـ انك لا تعرف كلارا

ـ لا لا ، مهما تكن قوة شـخصيتها ، وحدة ذكائها ، فانها لن تستطيع أن تقف أمام رجل موفور التجارب مثلك

فرفع بوارو رأسه فى تحد وقال :

ـ أيا كان الأمر يا مستر هيل ، فانى لم أتعـود أن أبالغ فى الكذب الى هذا الحد ، لاسيما اذا كان فى الأمر مكافأة ضخمه تبلغ خمسة آلاف جنيه لاثبات الحقيقة ، الحقيقة الخالصة

ـ اننى آسف يا مسيو بوارو ، لم أكن أقصد جرح مشاعرك ، اننى فقط مشفق على هذه الفتـاة الحسناء البريئة التى وهبتهـا

الطبيعة كل شيء ، وتوشك هي أن تحرم نفسها من كل شيء · انها مأساة

ــ الآباء ياكلون الحصرم ، والابناء يضرسون !

ــ هذا صحيح · ولكن ، اية حقيقة تريد اثباتها ، بعد أن ثبتت فعلا منذ ستة عشر عاما ، وصدر الحكم ، ولولا الظروف '' حفة ، لماتت كارولين كريل على حبل المشـ

فقال بوارو بهدوء .

ــ ان حديثك هذا يا مستر هيل له أكبر الأثر في نفسي · فأنا عرف أنك ، طول حياتك ، رجل مستقيم شريف جاد ، وأرجو أن خبرني بصراحة : ألم يخامرك الشك ، أدنى الشك في ادانة سز كريل ؟

فأسرع المفتش يقول :

ــ مطلقا يا مسيو بوارو ، ان جميع الأدلة . والقرائن، والاثباتات، وشهادات الشهود . كانت تشير اليها

ــ هل يمكن أن تخبرني بالأدلة التي توافرت على ادانتها ؟

ــ مؤكد · فمنذ أن بلغت رسالتك بخصوص هــذا الأمر ، وأنا أراجع سجل الجريمة ، واضع العلامات والاشارات تحت الحقائق الواضحة

ــ شكرا جزيلا يا صديقي ، اني أشد ما أكون شوقا الى سماع هذه الحقائق

فتنحنح المفتش هيل ، ثم قال في لهجة جادة :

ــ في تمام الساعة الثانية وخمس وأربعين دقيقة بعد ظهر اليوم الثامن عشر من شهر سبتمبر ، اتصل الدكتور فوسيت تليفونيا بالمفتش كونوى ، واخبره أن المدعو اميــاس كريل مات في قصره بآلدربرى ، وان الظروف المحيطة بالوفاة ، كما ذكرها المستر فيليب بليك صديق المتوفى ، واحد ضيوفه ، تحتم وضع الامر بين أيدى رجال البـوليس ؛ ومن تم صـحب المفتش كونوى السرجنت رودى وطبيب الصحة ، وأسرعوا الى آلدربرى ، وهناك مضى بهم الدكتور فوسيت فورا الى جثة المتوفى التي لم يحركها احـد من مرضـعها ، وكان المستر كريل ، قبيل وفاته ، يرسم في حـديقة

صغيرة مقفلة تابعة لقصره ، تسمى حديقة البحر ، لانهـا تطـل من مرتفع ، على البحر ، وتقع على مسيرة اربع دقائق من القصر ، ولم يكن المستر كريل قد ذهب الى القصر ليشترك فى تناول طعام الغداء مع زوجته وضيوفه ، لانه اراد ان يرسم بعض الظلال والاضواء على لوحته فى تلك الساعة من النهار قبل أن تميل الشمس نحـو المغيب . ومن ثم بقى بمفرده ، فى حديقة البحر ، يرسم . ولم يكن فى هذا ما يدعو الى العجب ، لان المستر كريل لم يكن يهتم بمواعيد طعامه اذا تعارضت مع انهماكه فى الرسم . وكان يكتفى فى مثل هذه الحالات ببعض الشطائر ، ترسل اليه . ولكنه ، كان يفضل ، عادة ، أن يبقى وحيدا لا يزعجه احد . وكان آخر من رآه حيا همـا مس الزا جرير « ضيفة بالمنزل » والمستر ميرديث بليك « جار وصديق » وقد غادر الاثنان معا حديقة البحر وذهب الى القصر ، حيث اشتركا مع بقية الضيوف فى تناول طعام الغداء . وبعد الطعام ، قدمت للجميع القهوة فى الشرفة الكبيرة ، وفرغت مسز كريل من شرب قهوتها ، وقالت انها ستذهب الى حديقة البحر لترى ماذا يفعل كريل ، زوجها ، ونهضت المس سيسيليا ويليامز ـ المربية ـ معها وصحبتها فى الطريق الى حديقة البحر قائلة انهـا ستبحث عن الصديرية الصوف الخاصة بتلميذتها انجيلا وارين ، الاخت غـير الشقيقة لمسز كريل ، وكانت المربية تعتقد أن انجيـلا تركت صديريتها على شاطىء البحر

وسارت الاثنتان معا فى الطريق الضيق المتعرج الذى تحف به الاشجار ، حتى وصلتا الى الباب المفضى الى حديقة البحر . ويمكنك عندئذ أن تدخل الى الحديقة ، او أن تستمر فى الطريق الضيق حتى تصل الى الشاطىء . ودخلت مسز كريل الحديقة ، واستمرت مس ويليامز فى سيرها ، ولكنها لم تلبث أن عادت مسرعة حين سمعت صراخ مسز كريل ، ولما دخلت الحديقة بدورها رات المستر كريل متهالكا على المقعد الخشبى الطويل ميتا !

والحت عليها مسز كريل أن تسرع بالعودة الى القصر والاتصال تليفونيا بطبيب ، وفيما كانت مس ويليامز فى طريقها الى القصر ، التقت بالمستر ميرديث ، فعهدت اليه بالقيام بمهمة استدعاء الطبيب ثم اسرعت عائدة الى المسز كريل ، وهى تشعر انها احوج ما تكون

الى وجود احد بجانبها فى هذا الظرف ، وحضر الدكتور فوسيت بعد ربع ساعة ، وادرك ، من اول نظرة ، ان كريل مات منذ فترة غير وجيزة . وقد حدد موعد الوفاة فيما بين الساعة الواحدة والساعة الثانية بعد الظهر . ولم يكن هناك ماينم عن سبب الوفاة . لا اصابة ، ولا جراح ، ولا آثار اختناق ، ورغم هذا ، فقد اشتبه الدكتور فوسيته فى سبب الوفاة لانه يعرف أن كريل كان يتمتع بصحة جيدة ، ولم يكن يشكو من اى مرض أو ضعف . ولهذا قرر أن يعرف كل الظروف المحيطة بالوفاة ، وعندئذ أدلى المستر فيليب بليك الى الدكتور ببعض البيانات التى جعلته يضع الامر بين أيدى رجال البوليس

وتوقف المفتش هيل برهة ، وتنفس بعمق ، ثم عاد يقرأ ، وكأنه يبدأ الفصل الثانى ، فقال :

ـ وبطبيعة الحال اعاد المستر فيليب بليك أقواله على مسامع المفتش كونوى ، فقال ، اى فيليب بليك ، انه تلقى فى الصباح مكالمة تليفونية من أخيه ميرديث بليك ، صاحب ضيعة هاندكروس ، الواقعة على مسافة ميل ونصف ميل من قصر كريل ، وكان المستر ميرديث كيمائيا هاويا ، او على الاصح ، احد هواة استخراج العقاقير من النباتات الطبية « هيربالست » . وعندما دخل المستر ميرديث بليك فى هذا الصباح الى معمله الخاص ، لاحظ ، لدهشته ، أن الزجاجة المحتوية على مادة الكونين « المخدر السام » ، ناقصة جدا ، بينما كانت ممتلئة تماما فى اليوم السابق . ولما أزعجته هذه الحقيقة ، اتصل تليفونيا بأخيه فيليب بليك ، الذى كان ضيفا على كريل فى قصره واخبره بهذا الامر ، والتمس منه النصيحة فيما ينبغى أن يفعل . وطلب فيليب من أخيه أن يحضر فورا الى قصر آلدربرى ليتباحث معه فى هذا الامر . وقد سار هو ـ فيليب ـ ليلتقى بأخيه فى الممر المؤدى الى القصر ، ثم عاد معه الى القصر وهما يتحدثان فى هذا الامر دون أن ينتهيا الى نتيجة ، فتركاه ليستانفا الحديث فيه بعد طعام الغداء

« أما الحقائق التى وصل اليها المفتش كونوى ، بعد التحريات والابحاث اللازمة فهى : بعد ظهر اليوم السابق على الوفاة ، سار خمسة أشخاص من قصر آلدربرى لزيارة المستر ميرديث فى منزله

بضيعة هاندكروس ، وهؤلاء الخمسة هم : مستر ومسز كريل، انجيلا وارين ، مس الزا جرير ، مستر فيليب بليك . وفى خلال الفترة التى قضوها هناك ، القى عليهم المستر ميرديث بليك ما يشبه المحاضرة عن طريقة استخراج مخدر الكونين من أعشاب طبية خاصة ، وعن قوة مفعوله ، وعن أسفه لاختفاء هذا المخدر من الصيدليات الحديثة برغم انه ثبت طبيا ان الجرعات القليلة جدا منه ، تشفى من السعال الديكى والربو . واخيرا قرأ لهم فصلا مؤثرا عن موت سقراط بعد أن وضع فى كأسه قطرات من هذا المخدر السام بالذات »

ومرة اخرى توقف المفتش هيل عن القراءة ، ثم راح يحشو غليونه قبل أن يبدأ فى قراءة الفصل الثالث من المأساة :

ـ ووضع الكلونيل فرير ، مدير البوليس ، هذه القضية بين يدى وقد ثبت بعد تشريح الجثة أن الوفاة نتجت عن التسمم بعقار الكونين . وذلك رغم ان هذا العقار لا يكاد يترك أثرا يدل عليه فى جسم الضحية ، ولكن الاطباء عرفوا كيف يظفرون بهذا الاثر فى جسم القتيل . وقد قرر هؤلاء الاطباء أن المخدر السام دس للمجنى عليه قبل الوفاة بساعتين أو ثلاث ، وكان امام المستر كريل ، على منضدة صغيرة ، كأس وزجاجة بيرة فارغتين . وثبت من تحليل البقايا الموجودة بهما أنه لا يوجد أثر للكونين فى زجاجة البيرة ، ولكن الاثر موجود فى الكأس الفارغة . وقد علمت من تحرياتى أنه برغم وجود زجاجات بيرة وكؤوس فى خزانة خاصة بحديقة البحر لتكون تحت طلب المستر كريل اذا أحس بالظمأ ، برغم هذا ، فقد ثبت أن المسز كريل فى ضحى هذا اليوم بالذات حملت زجاجة بيرة من ثلاجة القصر وذهبت بها الى زوجها ، حيث كان منهمكا فى رسم لوحة لمس الزا جرير ، التى كانت جالسة على سور الحديقة ، فى وضع خاص للرسم

وفتحت مسز كريل الزجاجة ، وملأت منها الكأس ، ووضعت الكأس فى يد زوجها وهو واقف أمام لوحة الرسم . وقد شرب هو ـ كعادته ـ الكأس فى جرعة واحدة ، ثم بدأ الامتعاض على وجهه وهو يعيد الكأس الى المنضدة ، ويقول : « كل شىء فى فمى اليوم مر » . وعندئذ ضحكت المس الزا جرير ، وقالت له : « لابد أن الكبد عندك متعب » واجاب هو عليها بقوله : « على كل حال هذه البيرة مثلجة »

وتوقف هيل عن الحديث ، فقال له بوارو :

ـ كم كانت الساعة عندما حدث هذا ؟

ـ فى نحو الحادية عشرة والربع

واستطرد المفتش هيل فى حديثه عن الجريمة قائلا :

ـ وظل المستر كريل منهمكا فى عمله ، وقد ذكرت المس الزا جرير انه بعد فترة وجيزة من شرب البيرة ، بدأ يشكو من تصلب أطرافه ويقول انه لابد موشك على المرض بالروماتزم ، ولكنه كان من نوع الرجال الذين يكرهون الاعتراف بأية حالة مرضية طارئة تعتريهم ، ولهذا السبب ، ظل متحاملا على نفسه ، ثم طلب من الزا وميرديث فى ضيق ان يدعاه بمفرده ويذهبا لتناول طعام الغداء . وهكذا ترك بمفرده . وليس من شك فى انه ، بعد ذهابهما ، تهالك ليستريح ، ولا شك أيضا أن الشلل العضلى قد سرى فى جسده عندئذ كما قرر الاطباء . وهكذا لم يستطع أن يستنجد بأحد ، وكانت النتيجة انه مات أثناء انشغال الجميع بطعام الغداء

وصمت المفتش هيل كأنما يستعد لبدء الفصل الرابع من المأساة ، ثم عاد يقول :

ـ والآن لنستعرض الحقائق التالية ، التى اثبتتها التحريات الدقيقة : فى اليوم السابق حدثت مشادة عنيفة بين مس الزا جرير ومسز كريل ، وذلك عندما اعلنت مس الزا ، بجراة ، انها قررت الزواج من المستر كريل ، وانه اتفق معها على هذا ، وردت عليها مسز كريل قائلة ان هذا لن يحدث ، وأن مس الزا واهمة فيما تزعم ، وعندئذ اقبل مستر كريل الى الغرفة ، فالتفتت اليه زوجته وقالت له :

ـ هل قررت ، حقا ، يا أمياس أن تتزوج بالزا ؟

وعندئذ بدا الاهتمام بوضوح على وجه بوارو ، مما جعله يقول للمفتش هيل :

ـ هه . وبماذا أجاب كريل على هذا السؤال ؟

ـ يبدو أنه استدار الى مس الزا وهتف بها غاضبا : « ماذا تقصدين بحق الشيطان من الافضاء بهذا السر ؟ الا تعرفين كيف تمسكين لسانك بضعة أيام » . وعندئذ قالت مسز كريل لزوجها :

« اذن فقد اتفقتما على الزواج فعلا ؟ » فأشاح زوجها بوجهه وغمغم بكلمات غامضة ، فعادت زوجته تقول له : « لماذا لاتجيب أليس من حقي ان أعرف ؟ » فهز كتفيه وقال لها : « نعم هـــذه هي الحقيقة ، ولكني غير مستعد للمناقشة الآن » ثم غادر الغرفة مسرعا ، بينما قالت مس الزا جرير لمسز كريل انها تريد منها مواجهـــة الحقيقة بشجاعة ، وانها شخصيا ، ترجو أن تظل ، أى مسز كريل ، صديقة لزوجها بعد طلاقها منه

وقال بوارو :

ــ وماذا قالت مسز كريل عندئذ ؟

ــ قال الشهود انها ضحكت وقالت : « انك لن تتزوجي بأمياس الا بعد وفاتي » ثم توجهت الى باب الغـــرفة ، ولكن مس الزا هتفت بها : « ماذا تعنين يا مسز كريل » فنظرت اليها مسز كريل قائلة : « أعنى انى سأقتل أمياس قبل أن أتركه لك »

وتوقف المفتش هيل عن الحديث ، وقال بوارو :

ــ اعتراف خطر ، من سمع هذه العبارات ؟

ــ كان بالغرفة مع مس الزا ومسز كريل ، المستر فيليب بليك ، ومس ويليامز المربية ، ولا شك أن الموقف بالنسبة لهما كان بالغ الحرج

ــ وهل اتفقت شهادة كل منهما مع شهادة الاخر فى هـــذا الموضوع ؟

ــ نعم .. بقدر ما يمكن ان يتفق شاهدان رأيا أو سمعا شيئا واحدا فى وقت واحد ، فان كلا منهما يصف ما رأى أو سـمع بطريقته الخاصة

واستطرد المفتش هيل فى حديثه عن المأساة فقال :

ــ وأمرت باجراء تفتيش دقيق فى انحاء القصر . وقد عثرنا فى غرفة نوم مسز كريل على زجاجة موضوعة تحت كومة من الجوارب القديمة فى اسفل درج خزانة الملابس ، وكانت زجاجة فارغـة من زجاجات عطر الياسمين ، ولما فحصنا آثار البصمات عليها لم نجد غير بصمات مسز كريل ، اما تحليل البقايا الموجودة بهـا فقد أثبت ان بها آثارا بسيطة لعطر الياسمين ، وآثارا واضحة قـوية

لمحلول هيدروبروميد الكونين .. وحذرت مسز كريل واطلعتها على الزجاجة ، فاجابت فورا انها كانت فى حالة معنوية سيئة ، وانهـا قررت ، بعد سماعها محاضرة المستر ميرديث عن مفعول الكونين السام أن تأخذ كمية منه ، فغافلت الموجودين وتسللت الى معمله ، وافرغت عطر الياسمين من زجاجة حقيبة يدها ، وملأتها من عقار الكونين ، ولما سألتها لماذا فعلت هذا قالت : « اننى لا اريد أن اطيل الحديث فى موضوع شخصى ،ولكن يكفى القول انى تلقيت صـدمة قاسية ، وذلك عندما صارحنى زوجى بأنه سيهجرنى ليتزوج من فتاة أخرى ، فاذا صح هذا ، فلن أستطيع الحياة بدونه ، ولهذا أخذت الكونين »

وقال بوارو عندئذ :

ــ هذه اجابة مقنعة الى حد ما

ــ نعم .. ولكن هذا لا يتفق مع قولها لالزا جرير انها تفضل أن تقتل كريل على ان تعطيه لها ، ثم هناك المشـادة الاخرى التى حدثت فى صباح يوم الوفاة وسمع فيليب بليك طرفا منها .. وكذلك مس الزا جرير سمعت طرفا آخر من نفس هذه المشادة التى حدثت فى غرفة المكتبة بالقصر بين مستر ومسز كريل . وكانت الزا جالسة تحت نافذة المكتبة المفتوحة ، وسمعت الشىء الكثير من هـــذه المشادة

ــ وماذا سمعت هى وفيليب بليك !!

ــ سمع المستر فيليب مسز كريل تقول لزوجها فى غضب : «هكذا انت دائما مع نسائك . لشـــد ما أتمنى أن اقتلك ، حتما ســيأتى اليوم الذى اقتلك فيه »

ــ الم يسمع شيئا عن عزمها على الانتحار ؟

ــ لا . مطلقا . لم يسمع مثلا اية عبارة كهذه « اذا فعلت هــذا فسوف أقتلْ نفسى » ، أما الزا جرير فقد سمعت هذا الحوار بين الزوجين :

قال كريل : « كونى عاقلة رزينة ياكارولين . اننى اميل اليــك واحب لك الخير دائما ، انت والطفلة طبعــا ولــكننى ســـأتزوج الزا .. وقد اتفقنا على أن يكون كل منا حرا فى تصرفاته » فقالت

كارولين : « حسنا . لا رغم أننى لم احذرك » ، فقال كريل : « ماذا تعنين ؟ » . . فقالت كارولين : « اعنى اننى احبك ، ولن أسمح لاحد أن ينتزعك منى . اننى أفضل أن اقتلك على ان ادع هذه الفتاة تظفر بك »

وصمت المفتش هيل بعد ان فرغ من ترديد هذا الحوارعلىمسامع بوارو الذى قال :

ــ يبدو لى أن الزا جرير كانت حمقاء فى تحديها لمسز كريل ، فقد كان فى وسع هذه الاخيرة أن ترفض الطلاق من زوجها كريل نهائيا

فقال المفتش هيل :

ــ لدينا بعض الادلة الخاصة عن هذا الموضوع . فان مسز كريل افضت بآلامها ، كما يبدو ، للمستر ميرديث بليك ، وهو صديق قديم للاسرة . ويبدو أيضا أنه شعر من اجلها بأشد الحزن ، واستطاع ان يتحدث مع كريل فى الموضوع على انفراد ، واعتقد ان هذه المحادثة دارت فى اليوم السابق على المأساة ، وقد ذكر ميرديث لصديقه أنه سيكون حزينا ابلغ الحزن لو حدث الطلاق بين مستر ومسز كريل ، وكذلك اشار الى فارق السن بين الزا التى لم تكن تجاوزت العشرين ، وبين كريل الذى بلغ الاربعين ، وأنه لا يليق جرجرة فتاة صغيرة كهذه فى قضية طلاق ، وقد رد كريل على هذا بضحكة خفيفة ، تنم عن استهتاره التام بالعلاقات الزوجية ، ثم قال : « ان الزا لن تظهر فى المحكمة عند نظر قضية الطلاق ، وأننا قد اتفقنا على طريقة ننهى بها الموضوع بغير ضجة »

وعندئذ قال بوارو :

ــ مادام الامر كذلك ، فلماذا افشت الزا السر وتحدث مسز كريل فى بيتها ؟ لاشك أنها حماقة بالغة الشأن

فقال المفتش هيل :

ــ ان الرجل لا يعرف حقيقه ما يدور بذهن المرأة والمهم أن الموقف كان شديد الحرج للجميع فى القصر ، ولست ادرى كيف سمح كريل بنشوء مثل هذا الموقف بين المرأتين ؟ ان المسترميرديث

بليك يفسر هذا بقوله أن كريل كان شديد الاهتمام بالصورة التى يرسمها لمس الزا جرير فهل هذا معقول ؟

ـ نعم يا صديقى ، ان هذا معقول جدا

ـ ولكنه ، فى رايى ، غير معقـول ، لقـد كان يسعى بنفسه الى خلق المشكلات

ـ من المحتمل جدا انه كان يشعر بالاستياء الشديد من الزا جرير لانها افشت السر قبل الوقت المتفق عليه

ـ نعم .. كان مستاء منها . هكذا شهد ميرديث بليـك . ولكن اذا كان مهتما بالفراغ من الصورة فلماذا لم يستعن ببعض صورها الشمسية فى اتمام الصورة فلا يضطر الى ابقائها مع زوجته فى القصر . اننى أعرف رساما شابا ينقل صورا بالالوان المائية ، من صور مناظر طبيعية شمسية

فقال بوارو باسما :

ـ ان كريل لم يكن ليلجأ الى مثل هذه الطريقة البدائية فى الرسم لقد كان ، كما فهمت ، رساما كبيرا ، فنـانا نابغـة ، وليس من المستبعد ان يكون فنـه أهم لديه من كل شىء . ولاشك أن الفراغ من رسم الفتاة كان أهم لديه من التعجيل بزواجها ولعـل هـذا هو السبب الذى من أجله كان يريد أن يفرغ من رسم اللوحة قبـل أن تضطرب الاحوال بين الفتاة وزوجته . اما الفتاة ، فانهـا لم تدرك هذه الحقيقة . فالحب ، عند المراة ، ياتى دائمـا فى المقـام الاول

فقال المفتش هيل :

ـ كلنا يعرف هذه الحقيقة

ـ ولكن الرجال يختلفون ، لاسيما الفنانون منهم ، فان للفـن أعباءه

فقال المفتش فى احتقار :

ـ الفن ؟ ماهذا الحديث عن الفن ؟ اننى لا افهمه ، وما اظن انى سأفهمه يوما ، ولنأخذ مثلا هذه الصورة التى رسمها كريل للفتاة . انها صورة غريبة عجيبة كأنما الفتاة كانت تشكو من وجع اسنانها وهى جالسة أمامه . اما السياج الحجرى الذى كانت جالسة

عليه ، فقد بدا غريبا أيضا . انني حتى الآن ، وبعد ستة عشر عاما لازلت اذكر نفوري من هذه الصورة

فابتسم بوارو وقال :

ــ انك تقرظ هذه الصورة أعظم تقريظ دون أن تدرى

ــ لا لا ، انا لا اقصد هذا . لماذا لا يحاول الرسام أن يرسم كل شيء طبق الاصل كما هو ؟ لماذا يتعب نفسه لكى يجعل الصورة تبدو غريبة عجيبة ؟

ــ ان بعضنا ياصديقي يرى الجمال فى كل عجيب غريب

ــ أيا كان الامر ، فان مس الزا جرير هذه كانت فى تلك الايام جميلة فاتنة ، ولعلها لا تزال محتفظة حتى الآن بجمالها . وبهــذه المناسبة اذكر انها تزوجت مرتين : الاولى من رحالة مغامر لا اذكر اسمه ، والثانية من زوجها الحالى اللورد ديتشام . وهى معــروفة فى الاوساط الراقية الآن باسم الليدى ديتشام

ــ حسنا جدا . هــل أفهم من هذا أن الشاهدين الاساسيين اللذين كانا ضــد مسز كريل هما فيليب بليك ومس الزا جــرير ، أليس كذلك ؟

ــ نعم كانا ضد مسز كريل على طول الخط . وقــد شــهدت أيضا المربية مس ويليامز ، ورغم أنها كانت شديدة العطف على مسز كريل ، فان شهادتها أساءت الى موقف المتهمة الى حد كبير . ذلك لانها سيدة صادقة لا تقول غير الحق ، ولا تحاول المراوغة من الاجابة ولو كانت هذه الاجابة ضد أقرب الناس اليها

ــ وميرديث بليك ؟

ــ كان يعرب فى شــهادته عن حــزنه وألمه ، ويلوم نفسه على استخراج هذا المخدر السام فى معمله ، وقد لامه المحقــق . وكان على الجملة انموذجا للرجل المحافظ ، الذى يكره هذا اللون من المحاكمات المثيرة

ــ وهل شهدت الاخت الصغرى لمسز كــريل ، اعنى انجيــلا وارين ؟

ــ لا ، لم يكن هناك مايدعو الى سماع اقوالها ، فانها لم تســمع اختها وهى تهدد زوجها بالموت ، ولم يكن لديها من الاقوال اكثر مما سمعناه من شهود الحادث ، فقد رأت مسز كريل وهى تأخذ الزجاجة ، زجاجة البيرة ، من الثلاجة ، وكان فى مقدور الدفاع أن

يركز جهده فى هذه الناحية ويثبت أن مسز كريل لم تعبث بمحتويات الزجاجة . ولكن هذا الدفاع لم يكن ضروريا ، لان ممثل الاتهام لم يدع أن السم كان فى الزجاجة

ـ اذن كيف استطاعت مسز كريل أن تضع السم فى كأس زوجها أمامه ، وأمام مس الزا ومستر ميرديث ؟

ـ اولا كان كريل منهمكا فى الرسم ، وكانت الزا جرير جالسة بعيدا فى وضع خاص بحيث كان ظهرها تقريبا الى مسز كسريل . أما مستر ميرديث فكان فى مكان بعيد عن الجميع

فغمغم بوارو قائلا :

ـ يبدو أن لديك الاجابة المقنعة عن كل سؤال

ـ ان الامر جد واضح يامسيو بوارو ، فقد ثبت باعترافهـا وشهادة الشهود أولا : أنها هددت زوجها بالموت ، ثانيا : أنها سرقت المادة السامة من معمل مستر ميرديث ، ثالثا : وجـدت الزجاجة الفارغة التى كانت تحتوى على المادة السامة فى غـرفة نومها ، وليس عليها غير بصمات أصابعها . رابعا : أنها هى التى حملت زجاجة البيرة الى زوجها ، وقدمت اليه الكأس ، آخـر كأس شربها زوجها قبل وفاته ، وقـد قال فى امتعاض أن كل شىء يبدو فى فمه مرا هذا اليوم ، والعجيب فى هذا الامر انها تهتم بحمل الشراب المثلج اليه رغم الخصومة التى كانت بينهما

ـ ان هذا فى الواقع شىء يثير التساؤل والدهشة !

ـ نعم ؟ لماذا اصبحت فجأة لطيفة معه ، مهتمة بأمره ؟ لكى تحقق غرضها طبعا . وقد رتبت الامر لكى تكتشف الجثة بنفسها ، ومن ثم ارسلت مس ويليامز لاستدعاء الطبيب وذلك لكى تزيل عن الكأس والزجاجة آثار بصماتها وتضغط بأصابع القتيل على الزجاجة

فقال بوارو فى دهشة :

ـ تضغط بأصابع القتيل على زجاجة البيرة ؟

ـ نعم .. ولكن خدعتها انكشفت بسهولة ، وقـد جعلها ممثل الاتهام أضحوكة الجميع فى المحكمة حين بين للقضاة ان وضـع بصمات القتيل يدل بوضوح على انه مفتعل ، وانه لايمكن أن يكون قد أمسك الزجاجة فى هذا الوضع الا اذا كانت مقلوبة ، وكانت هى ترجو أن توهمنا أن زوجها مات منتحرا بسبب وخز الضـمير . ولكن ثبت للجميع ، من شهادة الشهود ، وظروف حياة القتيل ، أنه آخر من يفكر مجرد تفكير فى الانتحار

ولما اوما بوارو براسه ، استطرد المفتش يقول :

ـ انها لم تحاول أن تفكر لحظة واحدة تفكيرا سليما . كان الحقد والغيرة قد أكلا قلبها واضلا عقلها . اكانت تريد ان تقضي عليـــه . فلما نجحت فى هذا ورأته أمامها جثة هامدة ، بدأت تدرك هــول الجناية التي ارتكبتها ، والمصير المنتظر لها ، فشرعت تبحث عن منقذ للنجاة ، فلم تجد أمامها غير نظرية الانتحار

ـ معقول جدا

ـ هل اقتنعت الآن يا مسيو بوارو بأن هذه القضية كانت واضحة منذ اللحظة الاولى ؟

ـ تقريبا . . . ولكن لا تزال هناك نقطة او اثنتان فى حاجة الى مزيد من الايضاح

ـ انني على استعداد لان أرد على أى سؤال

ـ ماذا كان يفعـــل المقيمون فى القصر أو بقية الضيوف فى ذلك الصباح ؟

ـ لقد تحرينا عن تصرفات كل واحد منهم . . ولكني ابادر فاقول انه فى حالة وقوع جريمة قتل بالسم لايمكن أن يكون أى انسان قريب من مسرح الجريمة ، فوق الشبهات تماما ، لا سيما اذا كان السم من النوع البطيء المفعول . اعنى ان فى مقدور اى قاتل ان يعطى كمية من السم فى برشامة للمجنى عليه قائلا له انها دواء لعسر الهضم ـ مثلا ـ يؤخذ بعد الاكل ، ثم يسافر الى آخر الدنيا بالطائرة ، ويموت المجنى عليه دون ان يعرف احد الحقيقة

ـ ولكنك لا تعتقد أن هذا ما حدث ؟!

ـ لا لا . . لم يكن المستر كريل يعاني عسر الهضم . ولا أعتقد أن أحدا اعطاه السم فى برشامة . . حقا لقد نصح له مستر ميرديث بتعاطى « بلابيع » خاصة لتقوية الجسم من صنع يديه ، ولكن كريل لم يعمل بهذه النصيحة ، ولو انه عمل بها لجعل من هذا الدواء مادة الضحك والتندر . . ثم انه ليس هناك ما يدعو ميرديث الى قتل كريل . . فقد كانت العلاقة بينهما أطيب ما تكون مودة وتقـــديرا متبادلا . . وكذلك كان الحب يربط بين مس الزا وكريل . . فليس هناك ما يدعوها لقتله ، وايضا ليس هناك اى باعث لان يقتل فيليب

.يث اعز اصدقائه ، واعنى به كريل ؛ ولكننا لا ننكر ان مس ويليامز
لم تكن على علاقة طيبة بكريل، اذ كانت تعرب دائما عن نفورها من
سلوكه مع النساء ، واستهتاره المشين بالعلاقات الزوجية .. ولكن
نفورها هذا ما كان ليصل الى حد ارتكابها جريمة قتله بالسم .
وكذلك كانت مس انجيلا وارين دائمة الشجار مع زوج اختهـا .
ولكنها كانت صبية صغيرة على وشك الالتحاق بمدرسة داخلية ..
وكانت رغم شجارها الدائم مع كريل تميل اليه ويبادلها هـــذا
الميل ، والمعروف أن هذه الفتاة كانت تعامل فى القصر معاملة خاصة
زاخرة بالحب والعطف والتدليل ، وذلك لانها اصيبت على يدى
اختها مسز كريل ، وهى طفلة صغيرة ؛ باصابة شوهت جانب وجهها
وافقدت احدى عينيها النظر .. ولهذا كانت مسز كريل تحاول أن
تعوضها عما أصابها بالاسراف فى الحب والتدليل وتلبية كل رغباتها
وعندئذ قال بوارو :

ــ ولكن هذا لا يمنع من استمرار الفتاة فى الشعور بالحقد على
أختها كارولين التى كانت السبب فى تشويه وجهها !

ــ ربما .. ولكن هل يمكن أن يدفعهاهذا الحقد، ان كان موجودا،
الى قتل امياس كريل ؟ انه احتمال بعيد جدا ، وايا كان الامر ، فان
مسز كريل قد تولت بنفسها رعاية أختها هذه غير الشقيقة بعد
وفاة والديها ، واسبغت عليها من الحب والعطف الشىء الكثير .
وقدشهد الجميع أن انجيلا كانت تحب أختها أشد الحب،ولهذا اصرت
مسز كريل على أن تظل الفتاة بعيدا عن اجراءات المحاكمة وآلامها،
ولكن انجيلا كانت شديدة القلق والحزن والحث فى رؤية أختهـا
بعد صدور الحكم ، ولكن مسز كريل رفضت بشدة أن تقابلها ،
قائلة : « ان منظرها وهى بملابس السجن سوف يترك فى نفس الفتاة
الصغيرة أثرا عميقا قد يدمر حياتها » ومن ثم أرسلت بها الى مدرسة
داخلية خارج البلاد

وأردف المفتش هيل ، بعد برهة صمت وجيزة ، قائلا :

ــ لقد أصبحت مس وارين الآن ، اى بعد ستـــة عشر عاما ،
شخصـية مشهورة بعـد ان قامت برحلات كثيرة الى مناطق الآثار
وبعد ان القت المحاضرات فى الجمعية الجغرافية الملكية ، وبعد أن
جعلت لنفسها اسما لامعا فى الكتابة للصحف والمجلات

ــ ولم يعد احد يذكر المحاكمة ؟

ــ ولماذا يذكرونها ؟ ان مس وارين لا تحمل اسم والد كارولين ، فقد كانتا اختين غير شقيقتين ، من أم واحدة وأبوين مختلفين .. ان اسم والد كارولين ، هو سبالدنج ..

ــ هل كانت مس ويليامز المربية والمدرسة الخاصة لطفلة مستر ومسز كريل أما لمس وارين ؟

ــ كانت المربية والمدرسة الخاصة لمس وارين

ــ واين كانت ابنة كريل عند وقوع المأساة ؟

ــ كانت مع مربيتها الخاصة فى زيارة لجدتها الليدى تريسليان وكانت سيدة ارملة فقــدت ابنتها ، وأصبحت شــديدة التعلق بحفيدتها الصغيرة

ولما أومأ بوارو براسه ، استطرد المفتش هيل يقول :

ــ أما عن تصرفات الموجودين فى القصر يوم المأساة ، فيمـكننى أن أقدم لك تقريرا كاملا دقيقا . فمس الزا جرير كانت ــ بعـد طعام الافطار ــ جالسة فى الشرفة الواســعة ، تحت نافذة غرفة المكتبة مباشرة ، وهناك ــ كما سبق القول ــ سمعت المشاجرة التى وقعت بين كريل وزوجته ، وبعد ذلك صحبت كريل الى حديقة البحر حيث جلست أمامه على السور الحجرى فى الوضع المطلوب للرسم . وظل كريل يعمل فى الصورة حتى موعد الغداء دون أن يستريح الا مرتين فقط للتخفيف عن عضلاته .. أما فيليب بليك فكان ــ بعد الافطار ــ فى القصر ، وقد سمع أيضا طرفا من المشاجرة التى وقعت بين الزوجين ، وبعـد انصراف كريل والزا جـرير الى حديقة البحر ، جلس فى الشرفة يقرأ صحيفة الصباح الى أن اتصل به أخوه ميرديث تليفونيا وأبلغه نبأ اختفاء كمية من سم الكونين ، ومن ثم ذهب ليقابل أخاه عند شاطىء البحر ، ثم سار معه فى طريق العودة الى القصر ، فى الممر الصاعد المتعرج ، وقد مرا فى طريقهما بجانب سور حديقة البحر ، وكانت مس الزا جرير قد تركت مكانها ، وذهبت الى القصر لتحضر سترة من الصوف تضعها على كتفيهـا اثناء جلوسها امام الرسام ، وقد سمع الشقيقان ، وهما يمران بجوار سور الحديقة ، حديثا يجرى بين مستر كريل وزوجته وكان

يبدو من طبيعة الحديث انهما يتناقشان فى موضوع ترحيل انجيلا وارين الى المدرسة

وعندئذ قاطعه بوارو قائلا :

ــ آه . . . اذن كانت محادثة هادئة ؟

ــ لا . . لم تكن هادئة بأية حال ، فقد كان كريل يصيح فى حديثه . ويبدو انه كان ممتعضا لان زوجته قطعت عليه عمله فى اللوحة بشئونها المنزلية الخاصة

واومأ بوارو براسه ، بينما استطرد المفتش هيل قائلا :

ــ وتبادل الشقيقان الحديث برهة وجيزة مع كريل . . ثم حضرت مس الزا جرير بالسترة الصوفيــة ، وجلست فى الوضــع المناسب للرسم ؛ وعندئذ تناول كريل فرشاته واستانف عمــله مقطب الجبين ، وادرك الشقيقان انه ليس لهما مجال فى حديقــة البحر ، فغادراها الى القصر . وبهذه المناسبة اذكر أن كريل شكا من سخونة البيرة الموجودة فى حديقة البحر اثناء وجود الشقيقين ومسز كريل معه ، وقد وعدته مسز كريل بأن تاتى اليه بزجاجــة مثلجة من الثلاجة الموجودة بالقصر

ــ هكذا ؟

ــ نعم . . هكذا . . كانت حتى آخر لحظة تعامله بنعومة الافعى هذا هو رايى الخاص ، وعلى كل حال ، فقــد جلس الشقيقان فى شرفة القصر حيث احضرت لهما انجيلا وارين زجاجات البيرةالمثلوجة مع الاقداح ، وبعد ان شربا كفايتهما ، ذهبت انجيلا مع فيليب بليك للسباحة ، ومضى ميرديث الى مكان مكشوف يشرف على حديقــة البحر ، فجلس فيه ؛ وكان يستطيع من مكانه هذا ان يرى الزا جرير وهى جالسة على السور الحجرى ، وان يسمع حديثها مع كريل . . وقد ظل جالسا فى موضعه ذاك يفكر فى كمية الكونين المسروقة من معمله ، وكان شديد القلق لهذا السبب ؛ ولايدرى ماذا ينبغى أن يفعل ، ورآته الزا جرير من مكانها ، ولوحت بيدها . ولما دق الجرس معلنا عن موعد الغداء ، هبط من مكانه الى حديقة البحر وغادرها مع الزا جرير الى القصر ، وهو يذكر بهذه المناسبة : انه رأى كريل فى حالة غريبة . . ولــكنه لم يهتم بالامر ؛ لانه كان يعرف أن كريل من النوع الذى يكره الاعتراف باى مرض . كما

كان يعرف انه متقلب المزاج .. فهو احيانا يبدو شديد الابتهاج اذا كان العمل فى اللوحة التى بين يديه يسير كما يريد ويرجو : والا ، فهو مكتئب ، متجهم الوجه نارى النظرات ، وفى مثل هذه الحالات لا يسع الانسان الا أن يبتعد عنه . اما عن بقية الموجودين ، فقد كان الخدم مشغولين طوال فترة الصباح بأعمالهم داخل القصر ، وكانت مس ويليامز قد امضت فترة طويلة من الصباح فى غرفة الجلوس ، وامضت انجيلا وارين معظم فترة الصباح متجولة فى الحديقة الواسعة ، أو متسلقة الاشجار ، او اى شىء من هذا القبيل ولما عادت لم تلبث أن صحبت مستر فيليب للسباحة فى البحر

وتوقف المفتش هيل أخيرا عن الحديث ، ثم قال فجأة :

ـ والآن .. هل تجد فى تصرفات احد من الموجودين فى القصر ما يثير الاشتباه أو الشك ؟!

ـ لا .. مطلقا

ـ حسنا .. هل لديك اى شك الآن فى ادانة مسز كريل ؟

ـ اننى لا ادرى على وجه التحديد ، ولكنى ساحاول أن ازداد اقتناعا

ـ ماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ سأزور الاشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين مع مستر ومسز كريل يوم المأساة ، وساحاول ان اظفر باقوال كل منهم على حدة بشأن هذه الجريمة

فتنهد المفتش فى عمق وقال :

ـ وهل تعتقد أن اقوالهم ستتفق بعضها مع بعض بعد كل هذه السنوات .. وهلا تعرف هذه الحقيقة البدهية ، وهى أن اقوال شهود الحادث الواحد تختلف عادة باختلاف امزجتهم وطبائع نفوسهم

ـ ولكن الحقائق الاساسية تبقى ثابتة فى اقوالهم المختلفة

ـ اخشى أن تحصل فى النهاية على خمسة تقارير لخمس جرائم يختلف بعضها عن بعض

ـ ان هذا هو ما اعتمد عليه فى الوصول الى الحقيقة .. فان اصطدام هذه الاقوال هو الذى سيطلق الشرارة التى تضىء أمامى السبيل

وقبل ان ينصرف بوارو ، قال المفتش كأنما تذكر شيئا :

ـ وبهذه المناسبة نسيت أن اخبرك اننا عرفنا أيضا الوسيلةالتى نقلت بها كارولين السم من الزجاجة الى كأس زوجها

ـ وما هى ؟!

ـ خزان قلم حبر ، عثرنا عليه فى الممر المتعرج محطما ، بعد ان داست فوقه عشرات الاقدام !



الفصل الثالث

العدوّ العاشق

وبدأ بوارو تحرياته بزيارة فيليب بليك

وكان فيليب قد أصبح فى خلال هذه السنوات الست عشرة،رجل أعمال ناجح ، وسمسارا كبيرا فى بورصة الاورق المالية ٠ وكان فى مظهره قصيرالقامة ، يميل الى البدانة ، مكتنزالوجه ، ماكرالنظرات٠ وقد حرص بوارو على أن يخفى عنه الحقيقة الكامنة وراء زيارته،وانما ذكر له أنه منتدب من شركة كبيرة للنشر ، لجمع الحقائق ـ الخاصة ـ عن الجرائم الكبرى التى اهتز لها الرأى العام خلال العشرين سـنة الماضية ، وذلك لنشرها فى مجلد خاص

وقطب فيليب جبينه فى دهشة وقال :

ـ يا للسماء ٠٠ لماذا يعمد الناشرون الى نبش الماضى ، واعادته الى أذهان الناس ؟

فهز بوارو كتفيه وقال :

ـ هذه هى طبيعة القراء ٠٠ انهم يحبون هذه الالوان من القراءات المثيرة

ـ غيلان !

ـ ولكنها الطبيعة الانسانية ، فأنت وأنا يا مستر بليك أعـرف الناس ـ بحكم تجاربنا ـ بطبائع البشر ، وقد سمعت أنك من أبرع الناس فى سرد مثل هذا القصص

وضحك فيليب وقال :

ـ هل بلغتك هذه الحقيقة عنى ؟

ـ بلا شك ٠٠ بلا شك

وتراخى فيليب فى مقعده ، ثم قال فجأة :

ـ انك لست كاتبا قصصيا ، أليس كذلك ؟

فقال بوارو فى تواضع مصطنع :

ـ لا ... بل مجرد مخبر بوليس خاص

ـ أوه .. انني أعرف أنك هيركيول بوارو الشهير

ـ يسرني أنني معروف لك ، ولعل هذا ييسر مهمتى لديك

ـ انني شخصيا لا أجد أى مانع فى الحديث عن ذكريات الماضى.. فماذا تريد أن تعرف !

ـ أرجو أن تحدثنى بكل ماتعرف عن مأساة الرسام امياس كريل ، فكلنا نعلم أنه كان من أعز أصدقائك

فصمت فيليب برهة ثم قال :

ـ لقد أصبحت هذه المأساة ملكا للرأى العام منذ وقوعها ،وأعتقد أن أحداثها والظروف المحيطة بها ، معروفة للجميع ، ولا سيما فى سجلات البوليس

ـ ولكننى أرجو أن أعرف رأيك الخاص فى هذه المأساة ، وتأثيرها فى نفسك

ـ آه .. تتحدث عن تأثيرها فى نفسى ؟ لقد كان تأثيرها قاسيا رهيبا .. يكفى أن تعلم أنه كان فى مقدورى أن أنقذ صديقى كريل من الموت لو أنى تصرفت بسرعة وحكمة عندما أخبرنى أخى ميرديث عن اختفاء كمية من سم الكونين من معمله

ـ هل كان هذا فى مقدورك حقا أم أنك تبالغ فى الشعور بوخز الضمير ؟

ـ اسمع .. انني أفترض أنك تعرف الحقائق الاساسية عن هذه المأساة بعد أن قرأت ماكتب عنها فى حينها

ولما أومأ بوارو برأسه ، أردف فيليب بليك قائلا :

ـ حسنا .. عندما أخبرنى أخى ميرديث باختفاء كمية من سم الكونين من معمله،كان فى حالة نفسية بالغة السوء ، ومع ذلك ، فلم أتصرف بالسرعة الواجبة..وانما أرجأت مناقشة هذا الامر الى مابعد الظهر .. ولكن المأساة وقعت بعد تناول الطعام مباشرة ، أعنى أننا

اكتشفنا وقوعها بعد أن فرغنامن طعام الغـداء · ولو أني أحسنت التفكير والتصرف في ذلك الصباح . لأدركت فورا أن كارولين هي السارقة لكميـــة سم الكونين ، ولعملت على تحذير الزا وكريل ·· نعم كان ينبغي أن أذهب فورا اليهما وأخبرهمـا أن كارولين تنوى بهما شرا ليكونا على حذر ··

ونهض بليك وراح يذرع الغـرفة جيئة وذهابا في انفعال ، ثم استطرد يقول :

ــ يا اله السموت ·· أتظن يا رجل أنني لم أتعذب أشد العذاب كلما فكرت في سوء تصرفي · لقد كنت أعلم ، أو كان ينبغي أن أعلم بداهة أن كارولين هي التي اختلست كمية السم · وكانت الفرصة أمامي سانحة لانقاذ صديقي من الموت . ولكنني أهملت وتهاونت · لماذا لم أدرك منذ اللحظة الاولى أن كارولين ، في ثورة غضبها وانفعالها بسبب معاملة زوجها لها ، سوف تنتهز أول فرصة للقضاء عليه بعد أن حصلت على السم ! لماذا تهاونت ؟ هـذا هو الذى يؤلمني ويقض مضجعي

فقال بوارو مواسيا :

ــ أعتقد يا مستر فيليب أنك تشتد في تأنيب نفســك أكثر مما ينبغي ، فلا شك أن الاحداث لم تترك الوقت الكافي ···

ــ الوقت الكافي ؟ لقد كان لدى ما يكفي من الوقت،وكانت جميع الفرص واضحة أمامي لانقاذه ·· كان في وسعي أن أذهب الى أمياس لأحذره ·· نعم كان من الممكن أن يضحك ويسخر من تحذيرى · فما كان أمياس بالرجـل الذى يسهل اقناعه بانه معرض لأى خطر نعم كان يمكن أن يسخر مني · انه لم يستطع يوما أن يفهم حقيقة زوجتـه · لم يكن يدرك مبلغ ما كانت عليه من شر وعنف وقسوة حسنا · ولكن كان في وسعي أن أذهب اليها هي ·· الى كارولين ، وأن أقول لها : « انني أعرف ماذا تنوين أن تفعلي ، انني أعرف أنك اختلست كمية من السم من معمل أخي . فاذا مات أمياس مسمما بالكونين ، فثقي بأنك ستموتين على حبل المشنقة » نعم ، ان كلمات كهذه كانت كفيلة بوقفها عند حدها ··· وكذلك كان في مقدورى أن أتصل برجال البوليس ، نعم ، كانت أمامي وســـــائل كثيرة

لانقاذ صديقى ، ولكننى ، بدلا من اتخاذها ، تركت ميرديث يؤثر فى نفسى بحديثه الهادىء ، وطريقته البطيئة اذ قال : « يجب أولا يا فيليب أن نعرف ونتأكد من هو الذى اختلس الكونين قبل أن نلقى بالتهم جزافا » نعم ، هكذا هو ميرديث دائما ، بطىء التفكير بطىء الحركة ، متردد ، حمداً لله أنه الأخ الاكبر الذى ورث الضيعة والقصر ، والا لمات جوعا ، فانه آخر من يصلح للنجاح فى الحياة

وقال بوارو بهدوء :

ـ اذن لم يكن لديك أدنى شك فى سارقة السم ؟

ـ لا ، لم يكن لدى أدنى شك ، لقد عرفت فورا أنها كارولين ، نعم ، فأنا أكثر الناس معرفة بحقيقة أمرها

ـ هذا شىء مثير للفضول يامستر بليك ، أى نوع من النساء كانت هى ؟

فقال فيليب بليك فى حدة :

ـ انها ليست المسكينة المجروحة فى كبريائها كما ظنها الناس أثناء المحاكمة

ـ اذن ماذا هى فى الحقيقة ؟

فجلس فيليب مرة أخرى وقال فى لهجة جادة :

ـ هل تريد حقا أن تعرف كل شىء عنها ؟

ـ جدا

ـ كانت كارولين امرأة سوء • لم أر فى حياتى امرأة أسوأ منها ، نعم ، لا أنكر أنها كانت موفورة الجاذبية والجمال ، وأنها كانت تتمتع بهذه الرقة التى تخدع الناس فى حقيقة أمرها ، نعم ، كانت لها هذه النظرة الناعمة ، المستسلمة ، الوادعة ، التى تثير فى قلب الرجل عوامل النخوة والشهامة والفروسية • لقد قرأت فى كتب التاريخ عن الملكة مارى ، ملكة الاسكتلنديين ، انها كانت جذابة ، جميلة ، سيئة الحظ ، ولكنها ، فى الواقع ذكية ، مدبرة ، ماكرة ، عرفت كيف تضع الخطة للقضاء على الامير دارنلى دون أن تثير حولها الشبهات • وهكذا كانت كارولين ، جذابة ، جميلة ، تبدو وادعة ، ولكن لها فى الواقع نفسية القاتل ، وطباع الوحش

وصمت فيليب برهة قبل أن يستطرد قائلا :

ـ انني لا أدرى هل علمت بهذه الحقيقة أم لا . فانها لم تكن ذات اهمية كبيرة أثناء المحاكمة ، ولكنها ، في رأيي ، ذات دلالة أكيدة على حقيقة أخلاق هذه المرأة • وأعني بهذه الحقيقة ما فعلته بأختها الصغرى انجيلا وارين • انها الغيرة العمياء• لقد تزوجت أم كارولين مرة أخرى ، وأنجبت من زوجها الجديد انجيلا ، وكان طبعيا أن تركز الام معظم عواطفها وحنانها في الطفلة الصغيرة ، ولكن كارولين لم تحتمل هذا . ملأت الغيرة قلبها من أختها الطفلة ، فحاولت ان تقتلها بقضيب من الحديد • ضربتها على رأسها ، ولكن الضربة لم تقتل الطفلة وانما شوهت جانب وجهها وأفقدت احدى عينيها النظر• فهل هناك أبشع من هذا ؟

ـ لا ، مطلقا

ـ حسنا • هذه هي كارولين ، انها تريد دائما أن تكون الاولى • وان الشيء الوحيد الذى لم تكن تطيقه أو تفهمه ، هو أن تتخلف عن غيرها • كان في أعماق نفسها شيطان « مريد » الويل لمن يثيره

وبعد فترة من الصمت ، استطرد فيليب يقول :

ـ قد يبدو لك أنها ، بسبب هذا الحادث مع أختها ، امرأة متهورة ، مندفعة ، ولكنها في الواقع شديدة المكر قادرة على التدبير والتآمر ، فبعد وفاة والديها ، جاءت للاقامة ـ وهي فتاة في سن الزواج ـ في قصر آلدربرى مع ال كريل الذين يمتون اليها بصلات من القرابة البعيدة • وفي أثناء هذه الفترة التي أمضتها معهم قبل الزواج ، راحت تعجم أعوادنا جميعا ، نحن شباب المنطقة • ولم تفكر هي في مجرد الزواج مني لأنى كنت يومذاك فقيرا بعد أن آلت الثروة الى أخي ميرديث • وكانت هي أيضا فقيرة ، ومن ثم رأت أن من المستحيل عليها أن تجمع بين فقرى وفقرها • ومن العجيب ، أو الطريف ، انني الآن أوسع الجميع ، جميع زملائي وأقاربي ، ثراء ، حسنا ، وفكرت في الزواج من ميرديث ، ولكنها لم تلبث أن ألقت بشباكها على أمياس كريل ، فقد كان المعروف أن أمياس هو الوارث الوحيد لقصر آلدربرى والضيعة المحيطة به • وقد أدركت بذكائها أنه فنان موهوب ، وأن المال سيجرى بين يديه أنهارا بعد أن يدرك الناس حقيقة موهبته كرسام نابغ • وقد صدق حدسها ، وذاعت شهرة أمياس ، وجرى المال بين يديه ، وأصبح من أكبر الرسامين

فى عصره • هل رايت لوحاته ؟ ان لدى واحدة منهـــا • تعال وأنا أفرجك عليها

ثم تقدمه الى قاعة المائدة ، حيث أشار الى لوحة كبيرة معلقة على الجدار الايسر ، وقال :

ــ هذه بريشة أمياس

ونظر بوارو فى صمت ودهشـــة • كانت اللوحة تصور اناء من الازهار فوق منضدة من خشب الجوز اللامع • وكانت الازهار تبدو متوهجة بالحياة والنضارة ، وكان الخشب المصقول اللامع يكاد يهتز كلما أمعن الانسان النظر اليه • وتنهد بوارو وقال :

ــ نعم • ان لمسة العبقرية واضحة فى هذه اللوحة

وعاد فيليب بليك الى الشرفة التى كانا جالسين فيها ، حيث غمغم قائلا :

ــ اننى لا أفهم شيئا عن الفن ، ولكنى اشعر ان رسوم كريل تمتاز بشيء غامض مثير تجعل من يراها مرة لا ينساها أبدا

ثم اردف قائلا بعد أن قدم الى ضيفه لفافة تبغ :

ــ هـــذا هو العبقرى الفنان الذى قتلتـــه زوجتـــه ، وهو فى اوج الحيـــاة والمجـــد والشهرة . ولعلك تعتقد أننى متحامل على كارولين . ربمـــا ، ولكنى أؤكد لك أن هذه المراة ، برغم جمالهـــا وجاذبيتها ، كانت الشر بعينه . كانت تجمـــع بين القسوة والطمع والميل الغريزى الى الشر

ــ ولكننى سمعت يا مستر فيليب أنهـــا تحملت الشيء الـكثير من نزوات زوجها واستهتاره الدائم بالعلاقات الزوجية

ــ نعم ، كانت جـــد حريصة على أن تجعل كل الناس يعتقدون انها الضحية البريئة لخيانات زوجها . ولكن الحقيقة هى أن حياة كريل الزوجية كانت سلسلة متصلة من المشاجرات والخصومات والمنازعات ، ولكن المسكين كان يفر من هذا الجحيم الى فنه . كان يعيش فيه ومن أجله • كان يتجاهل كارولين وشغبها ومضـــايقاتها عندما ينهمك فى رسم لوحة جديدة . ويخيل الى انها كانت تستمد السعادة من مشاجراتها مع زوجها ، فهى فى كل مشـــاجرة كانت تطلق لسانها بالعبارات القاسية العنيفة ، وكأنما تريد أن تفرغ فيه كل

ما تزخر به نفسها من سوء وفساد ، فاذا انتهت المشاجرة ، رأيتهـا سعيدة مبتهجة ناعمة البال . ولكن هذا كله كان يثقل على كريل . فقد كان ، كفنان ، يحب الهدوء ، والحياة الراضية . اعتقد انه أخطا بالزواج . فان رجلا مثله كان ينبغي أن يعيش حرا من القيود الزوجية

ـ هل كان يفضى اليك بمتاعبه ؟

ـ كان يعرف انني صديق وفى مخلص منذ الصبا . ولكنه لم يكن يشكو ، وانما ينفجر أحيانا بمثل هذه العبـارة « اللعنة على جميع النسـاء » ، او « حذار ان تتزوج يا صديقى ، فان الزواج هو جحيم هذه الدنيا »

ـ هل كنت تعرف علاقته بمس الزا جرير ؟

ـ نعم ، اخبرنى ذات يوم أنه تعرف بفتاة مدهشة ، تختلف عن كل اللائى تعرف بهن من قبل ، وقد سخرت فى نفسى من حديثه هذا ، فقد كان يقول عن كل فتاة او امراة يتعرف بها انها مدهشة وتختلف عن الجميع ، ثم لا يلبث أن يضيق بها ، ويهرب منها . ولكنى حين رأيت الزا جرير في قصر آلدربرى ، أدركت أن الامر ، فى هذه المرة جد خطير ، فقد كان الواضح للجميع ان المسكين غارق فى حبها الى أذنيه ، وأن هذه اللعينة عرفت كيف تأسره

ـ كانك لم تكن راضيا عن الزا أيضا !

ـ لا . لم اشعر بأى ميل نحوها . فقـد كانت هى ايضا تريد ان تستحوذ عليه تمـاما ، ان تضعه فى « القفص » ، ان تسيطر على جسمه وروحه معا ، ولكنى ، مع هذا ، كنت اعتقد انها ستكون ـ كزوجة ـ افضل من كارولين . على انى فى الواقع ، كنت أفضل لو ان كريل عاش بعيدا عن شباك النسـاء

ـ ولكن يبدو انه كان مفتونا بهن

ـ نعم ، كان الاحمق لا يكاد ينجو من مغامرة عاطفية ، حتى يقع فى اخرى ، ولكن يبدو ان المراتين اللتين كان لهما اكبر الاثر فى حياته ، هما كارولين والزا جرير ..

ـ وهل كان محبا لاخت زوجته ، انجيلا ؟

ـ اعتقد هـذا ، فقد كانت الفتاة دائمـا لطيفة مرحة ، ولكنها احيانا كانت تتمادى فى عبثها معه ، فيشتد عليها ، وعندئذ تتدخل

كارولين وتقف في صف اختها ضده ، وكان هذا الموقف من كارولين يزيد من غضبه على انجيلا ، بل ومن غيرته أيضا ، كان يعتقد أن زوجته تفضل أختها عليه ، وتوليها من الحب أكثر مما توليه ، وكانت انجيلا في الوقت نفسه تغار من امياس وتحاول أن تظفر دونه بقلب اختها . وقد قرر هو أن تذهب الى مدرسة داخلية في ذلك الخريف ، وأصر على تنفيــذ قراره ، وثارت هي بشـــدة على هــذا القرار : لا لأنها تكره الذهاب الى المدرسة ، وانما للطريقة الاستبدادية التي اتخذ بها امياس هذا القرار . والواقع أنه ، من هذه الناحية ، كان على حق ، فقد تعودت انجيلا كلما غضبت منه أن تتمادى في معابثته، وفي ذات مرة وضعت في سريره عشر خنـــافس ، نعم ، لقـــد كان الاوان قد آن فعلا لالحاقها باحدى المدارس الثانوية

ـ وهل كان يحب ابنته الطفلة كارلا اشد الحب !

ـ اعتقد هذا .. كان يحبها ويدللها ويستمتع باللعب معها كلما شعر بالضيق أو الاكتئاب ، ولكن عاطفته نحوها ما كانت لتمنعه من الزواج بالزا ، اذا كان هذا هو قصدك من السؤال ، انه ، في رأيي ، لم يكن يحب ابنته هذا الحب الذي يجعله يضحي بسعادته الخاصة من اجلها

ـ وهل كانت كارولين متفانية في حب ابنتها كارلا ؟

ـ لا أستطيع أن أقول انها لم تكن أما مثالية ، نعم ، لا أســتطيع أن أزعم هذا . ولعل أشد ما آلمني في هذه المأساة هو موقف هــذه الابنة المسكينة التي فقدت أمها واباها في وقت واحد ، وفي مثل هذه الظروف ، لقد ارسلوا بهـــا الى ابنة عم ابيها في كندا . وانا ارجو أن يكونوا هناك قد اخفوا عنها هذه المأساة

فهز بوارو رأسه وقال :

ـ مثل هذه المآسي ، يا مستر بليك ، لا يمكن أن تظل خافية الى الابد

ـ من يدري ؟

ـ حسنا يا مستر بليـــك . انني سألتمس منك شيئا ارجو أن تحققه .. انني أرجو أن تكتب لي كل ما تعرفه أو تذكره عن تفاصيل هذه المأساة

ـ ولكنني يا مسيو بوارو لا أستطيع أن أتذكر التفاصيل بدقة ، بعد كل هذه السنوات

ـ اعتقد انك حين تبدا فى الكتابة ، ستجد نفسك قد تذكرت كل شيء تقريبا

ـ عجبا !

ـ هذه هى احدى عجائب الذاكرة ، فانك حين تثيرها ، تفتح لك أبواب خزائنها وتطلق منها من الذكريات ما سوف تدهش له

ـ ولكن ، لماذا ؟ أليست سجلات البوليس الخاصة بهذه المأساة تحت أمرك !

ـ نعم ، ولكنني أرجو أن أعرف بعض الحقائق الخاصة التى سوف ترد فى كتابتك عن الحادث، وأنا واثق أنه كانت هناك عبارات وتفاصيل واشياء كثيرة لم يرد لها ذكر فى تحريات البوليس أو أثناء المحاكمة . على أساس انها ليست بذات اهمية ، ولكنها ، فى الواقع ، قد تكون بالغة الاهمية

ـ ولكنني رجل كثير الشواغل و . . .

ـ انني مستعد يامستر بليك أن . . . ان ادفع الاجر المطلوب

ـ لا . . . لا ، انني اذا قررت الكتابة ، فسوف أكتب ذكرياتي عن المأساة بدون مقابل ، بشرط الا تنشر شيئا من اقوالي بغير اذن مني

ـ اتعهد لك بهذا ، واقدم لك جزيل الشكر



الفصل الرابع

الحبيب الهادئ

حرص هيركيول بوارو على أن يتزود بخطاب توصية من صديقته الليدى مارى ليتون الى المستر ميرديث بليك ، عندما ذهب لزيارته فى ضيعته هاندكروس وقد استقبله ميرديث فى أول الأمر بشيء من الارتباك والاضطراب . ولكنه ماكاد يطلع على خطاب الليدى مارى، حتى استرد رباطة جأشه ، وراح يتبادل مع بوارو الحديث عن الليدى مارى ، وعن الصيد والقنص فى الريف ، وعن هواية سباق الارانب والكلاب . وقد بدا ميرديث بقامته الطويلة وحركته البطيئة ، وتحفظه فى الحديث ، أنموذجا لاعيان الاقاليم المحافظين

ولما حدثه بوارو عن رغبة « دار النشر » فى الحصول على بعض المعلومات الخاصة من الاشخاص الاحياء الذين شهدوا مأساة الرسام امياس كريل ، قال ميرديث فى عنف وهو يحشو غليونه :

ـ أليس من الوحشية الآدمية نبش مثل هذه المآسى التى عفى عليها الزمن ؟

فهز بوارو كتفيه وقال :

ـ اننى أتفق معك فى هذا ، ولكنها رغبة القراء الذين يحبون هذا اللون من الاحداث الحقيقية الواقعية

ـ اننى مصر على أن هذا أمر شائن

فقال بوارو فى صوت رقيق :

ـ نعم ، ولكننا ، فى هذا الكتاب ، سنحاول بقدر الامكان أن نبين للقراء الظروف التى أحاطت بالحادث وأدت اليه ، وأن كارلا كريل شديدة الاهتمام بهذا الامر وتعتقد أن مثل هذا الكتاب قد يخفف شعور الراى العام نحو أمها

ـ اوه ، كارلا ... كارلا الصغيرة . لا شك انها قد اصبحت الآن شابة

ـ نعم ، فان السنين تمر بسرعة غريبة أحيانا

فتنهد ميرديث وقال :

ـ باسرع مما يظن الانسان

ـ واهم من هذا كله ان كارلا تريد أيضا ان تعرف حقيقة المأساة من أقوال الذين كانوا موجودين عند وقوعها ، وذلك لانها غير مطمئنة الى تحريات البوليس واقوال بعض الشهود . انها تريد أن تعرف كل شيء عن أمها وأبيها من أولئك الذين كانوا أقرب الناس اليهما عند وقوع المأساة

ـ نعم ، نعم ، لا شك ان هذه المسكينة فجعت حين علمت اخيرا بمأساة أبويها . ولا شك أن فجيعتها تضاعفت حين اطلعت على تفاصيل المأساة من سجلات البوليس الجافة الخالية من اية عاطفة

وعندئذ أسرع بوارو قائلا :

ـ هذا تماما ما تريده كارلا ، وما نريده نحن . العواطف والمشاعر والانفعالات والتأثيرات التى كانت تتفاعل فى جو المأساة قبيل وقوعها

وصمت بوارو فجأة ، وبدا ميرديث يتحدث فى اهتمام . وقدأخذت الذكريات تتزاحم فى ذهنه :

ـ لقد كان امياس صديقا لنا منذ الطفولة .. وكانت أسرته ترتبط بوشائج الجوار والصداقة مع أسرتى منذ اجيال عديدة ، ولكن . لا يسع الانسان الا أن يعترف بأن تصرفاته كانت ... مخجلة ، مثيرة ولعل هذا يرجع الى مزاجه الفني ، فانه يقال أنللفنانين أهواءونزعات خاصة ، غير طبيعية .. ولكن لكل شيء حدودا . وما أظن أن هناك انسانا يحترم نفسه يرضى ان يأتى بعشيقته الى بيت الزوجية ، ويواجه بها زوجته ، بل ويتحداها هكذا علنا أمام الاصدقاء والجيران

ـ يسرنى أن اسمع منك هذا يا مستر بليك ، فالواقع أنه لا يوجد انسان كريم مهذب يقبل مثل هذا الوضع ، أو يخلق مثل هذا الموقف بين الزوجة والعشيقة

وتردد ميرديث برهة . ثم اذا وجهه يشرق بابتسامة غامضة وهو يقول :

ـ نعم ، نعم . ولكن المهم فى الموضوع هو أن أمياس لم يكن انسانا عاديا أو طبيعيا ، وانما كان رساما . . . فنانا ، وكان فنه يحتل من حياته ومشاعره المقام الاول . اذكر انه كان أحيانا يفضل الاستغراق فى العمل فى احدى اللوحات عن أية متعة أخرى من متع الحياة . وأنا شخصيا لا ازعم انى افهم شيئا عن مثل هذه الشئون الفنية . ولكننى أستطيع القول ان أمياس كان فنانا موهوبا حقا . هـذه حقيقة يعترف بها الجميع الآن . واعتقـد أن الدليل على اصالة موهبته انه لم يكن يهتم بأى شىء فى الحياة عندما يكون مشغولا بالعمل فى احدى اللوحات ، لم يكن يسمح لاى شىء ، أيا كان ، أن يقف بينه وبين اتمام اللوحة التى بين يديه . كان ، اثناء استغراقه فى رسم لوحة جديدة ، كرجل يعيش فى حلم ، فى عالم آخر ليس له صلة بعالمنا هذا . حتى اذا فرغ منها أو كاد ، بدأ يلتقط خيوط الحياة العادية مرة أخرى

ونظر ميرديث في تساؤل الى بوارو الذى هز رأســه موافقا ، وعندئذ استطرد يقول :

ـ ارى انك تدرك ما أعنى . حسنا ، لعل هذا يفسر شـذوذ بعض تصرفاته ، ولا سيما هـذا التصرف الذى جعله يجمـع بين حبيبتـه وزوجته فى مكان واحـد . لقد كان يحب الزا جرير حقا ، وكان علىاستعداد لان يطلق زوجته ، ويحرم نفسه من ابنته ، ليتزوج بها . ولكنه كان قد بدأ يرسمها هنا ، وهى جالسة على سور حديقة البحر ، وقد أراد أن يفرغ من رسم هذه اللوحة . ومن ثم لم يكن يهمه شىء . . أو يمكن القول انه لم يكن شاعرا تماما بالموقف الحرج الناشىء عن وجود الحبيبة والزوجـة تحت سقف بيت واحد . أعتقد أن هذا هو العذر الوحيد الذى يمكن أن يلتمسه الانسان لمثـل هذا التصرف الشاذ

ـ وهل كانت كل منهما تدرك حقيقة شعوره من هذه الناحية ؟

ـ أعتقد أن الزا كانت مدركة هذه الحقيقة . والواقع أنهـا كانت شـديدة الاعجاب به كفنان ، فضلا عن حبها العميق له كرجل . ولعل هذا الاعجاب ، وهذا الحب ، كانا من الاسباب التى جعلتها تحتمل حرج الموقف بشـجاعة ، بل بجراة تبلغ حد . . . التهور

ـ وماذا عن كارولين ؟

ـ كارولين ؟ آه . لقد كنت دائما أشعر بالميل اليهـــا . وقد داعبني الامل يوما بالزواج منها ، ولكن سرعان ما تلاشى هذا الامل . ومع ذلك فقد بقيت ـ اذا جاز لى أن أقول هذا ـ محبا لها ، واضعا نفسي فى خدمتها

واوما بوارو براسه فى فهم وادراك . لقد كان يعلم ان مثل هـــذا الرجل المحافظ اذا أحب ، فانه يحب بشرف ، ويتفانى فيمن يحب الى حد التضحية دون انتظار لشكر أو جزاء

وقال وهو يزن كلماته بعناية :

ـ اذن لاشك انك لم تكن راضيا عن تصرفات كريل معها !

ـ نعم ، وقد تحدثت معه بشأن هذه الفتاة الزا جرير

ـ متى ؟

ـ فى اليوم السابق على المأساة . لقد حضروا هنا جميعا لشرب الشاى ، ومن ثم انفردت بكريل وقلت له انه بهذا التصرف يسىء الى كل من كارولين والزا ، وانه اذا كان ينوى الزواج بالفتاة ، فليس هناك ما يدعوه الى احراج كارولين وتحديها هكذا علنا ، فليست هناك زوجة تستطيع أن تحتمل مثل هذا الموقف

ـ وماذا كانت اجابته ؟

ـ قال ان على كارولين أن تحتمل رغما عنها

ـ لا شك انها اجابة خالية من كل عطف واشفاق

ـ نعم ، ولهذا لم استطع أن اتمالك زمام اعصابى ، فعنفته بشدة قائلا ان الواجب عليه أن يجنب زوجته هذا العذاب حتى لو لم يعد يحبها ، وأنه لوكان يحب الزا حقا لما عرضها لمثل هذا الموقف الحرج، فما كأن منـــه الا أن أجاب قائلا ان على الزا أيضا أن تحتمل هـــذا الموقف رغما عنها ، ثم استطرد فى حديثه معى فقال ان هذه اللوحة التى يعمل بها هى خير انتاجه الفنى كله ، وانه لن يسمح لاية امرأة فى الدنيا أن تحول بينه وبين اتمامها ، فقلت له ان الرسم ليس كل شىء فى الدنيا فقاطعنى قائلا انه ، بالنسبة اليه ، يعتبر كل شىء . فذكرت له أن كارولين تتعذب كثيرا بسبب نزواته وشذوذ تصرفاته وكثرة علاقاته مع النساء ، وان هذا لايليق برجل يحترم نفسه ،

فقال لى انه يعرف هذه الحقيقة ، وانه جد آسف ، وانه يعرف أن زوجته تتعذب فى حياتها معه ، وانها ، بالنسبة اليه ، ملاك كريم ، ولكنه كان قد حذرها قبل الزواج بأنه عاطفي ، و «زير نساء» وبوهيمى المزاج . فقلت له ، مهما يكن الامر ، فلا ينبغى ان يحطم حياته الزوجية حرصا على مستقبل طفلتهما — على الاقل — وكذلك بينت له بوضوح أن الزا فتاة طائشة ، وأنه لا يجب الاعتماد على عواطفها فى مثل هذه السن ، ومن المحتمل جدا ان يندم كل منهما بعد الزواج ، وأن من الخير كل الخير أن يقطع علاقته بها ، ويعود الى زوجته وطفلته

— وماذا قال ؟

— نظر الى فى اضطراب وارتباك ، ثم ربت كتفى وقال : «انك صديق طيب يا ميرديث ، ولكنك عاطفى أكثر مما ينبغى ، انتظر حتى أفرغ من الصورة وسوف ترى أننى على حق »

وتنهد ميرديث ثم أردف قائلا :

— لقد كنا جميعا نشعر بالاسى والالم فى ذلك الحين

— الا امياس كريل ؟

— نعم . لانه كان انسانا لاتهمه غير مصالحه الخاصة . وأذكر بوضوح أنه اختتم حديثه معى بقوله : « اطمئن يا ميرديث . . فسوف ينتهى كل شيء على خير »

— ان هذا دليل على انه من الناس المتفائلين بطبيعتهم

— انه من أولئك الذين لا يهتمون كثيرا بمشاعر النساء ، وقد أردت أن أقول له ان كارولين فى حالة يأس ، وان المرأة حين تيأس تكون أشد خطرا من الوحش . . ولكنى كنت ادرك انه سيسخر منى لو حدثته بهذا

— وهل حدثتك كارولين بآلامها ؟

— حدثتنى تلميحا وفى كلمات قليلة ، ولكنى كنت أرى فى وجهها الشاحب وفى نظرات عينيها ، أمارات اليأس العميق . كانت تتحدث وتضحك اكثر مما ينبغى ، ولكن الحزن العميق كان يطل بوضوح من عينيها ، ويكاد يذيب أقسى القلوب وأغلظها . لشد ما كانت رقيقة وادعة

وبعد برهة من الصمت ، استطرد ميرديث فى حديثه وكأنما

فتحت ذاكرته أبواب الذكريات على مصاريعها ، فانشأ يقول :

ـ كان ينبغي أن ارتاب في الامر . فقد كانت كارولين هي التي وجهت الحديث الى ... الى هوايتي في استخراج العقاقير من النباتات الطبيـــة ، وكانت النتيجة أني تحـــدثت الى الضيوف عن هـــذه الهواية ، وعن بعض الخرافات الخاصة التي تحتم على الهاوي أن يلتقط بعض الاعشاب الطبية في ضوء القمر ، ثم تحولت في حديثي الى نبـــات « الهملوك » المرقط Spotted Hemlock الذي يستخرج منه مخدر الكونين السام

ـ هل كان حديثك هذا في غرفة المعمل ؟!

ـ نعم ، كنت اتحـــدث وأشرح حديثي بالاشـــارة الى مختلف العقـــاقير والمركبات والمستخرجات ، وأذكر أني حدثتهم عن عقـــار الفاليريان Valerian الذي تجذب رائحته القطط ، وتحدثت اليهم عن طريقة استخراج البلادونا والاتروبين ... وقد بدأ الاهتمام على وجوههم جميعا أثناء حديثي

ـ جميعا ؟

ـ نعم ... جميعا : فيليب ، وأمياس ، وكارولين ، وانجيـــلا ، والزا جرير ..

ـ ألم يكن هناك أحد آخر ؟! كالمربية مس ويليامز مثلا ؟

ـ لا ، لم تكن مس ويليـــامز معنا . انها مربيـــة تعرف كيف تؤدي واجباتها . وأعتقد أن انجيلا كانت تثير قلقها كثيرا

ـ لماذا ؟

ـ لأنها كانت مشغوفة بالعبث وتدبير « المقالب » ، والتمادي في المداعبة الثقيلة ، فقد وضعت ذات يوم خنفساء في قفا أمياس وهو منهمك في رسم لوحة هامة . وأذكر أنه ثار وأرعد وقرر أن يلحقها بالمدرسة

ـ يلحقها بالمدرسة !

ـ لا لأنه كان يكرهها ، وانمـــا لأنهـــا كانت تميـــل الى الشغب والاثارة . وأعتقد أنه أيضا كان يغار منها ومن مكانتها الرفيعة في قلب كارولين ، زوجته . وكانت كارولين شـــديدة الحب والعطف على أختها لأن ...

فقاطعه بوارو قائلا :

ـ لأنها كانت السبب فى تشويه جانب وجه الفتاة . فأرادت أن تعوضها بالحب والحنان ؟

ـ آه .. اتعرف هذا ؟ حسنا . لقد كانت كارولين تشعر دائما بوخز الضمير لهذا السبب

ـ وهل كانت انجيلا حاقدة على أختها ؟

ـ لا لا ، مطلقا ، بل كانت تبادلها الحب والحنان دون أن تشير من قريب أو بعيد الى هذا الموضوع

ـ وهل كانت انجيلا راضية بفكرة الذهاب الى المدرسة

ـ لا ، بل ثارت فى وجه أمياس وارادت أن تتحداه ، ووقفت أختها بجانبها ، ولكن أمياس كان من الرجال الذين اذا قرروا أمرا فلن يرجعوا عنه أبدا . وهكذا لم يكن على انجيلا الا أن تخضع فى النهاية لقراره

ـ ومتى تقرر الحاقها بالمدرسة ؟

ـ فى ذلك الخريف الذى وقعت فيه المأساة . فأنا أذكر أنهم كانوا يعدون حاجياتها ولوازم المدرسة، ولولا وقوع المأساة ، لذهبت اليها بعد أيام معدودة . فقد سمعت حديثا فى الصباح عن ترحيلها بعد اعداد حقائبها

ـ وماذا كان رأى المربية المس ويليامز ؟ ألا يعنى الحاق انجيلا بالمدرسة ، تعطلها هى عن العمل !

ـ نعم . ولكن هل يعقل أن تلجأ سيدة محترمة فاضلة الاخلاق مثل مس ويليامز الى ارتكاب جريمة قتل حتى لاتتعطل عن العمل ؟

ـ غير معقول طبعا ، وان كان بعض الناس يرتكبون أبشع الجرائم لأتفه الاسباب . حسنا يا مستر بليك ، وماذا كان رأى الزا فى الموضوع كله ؟ ألم تشعر يوما بتأنيب الضمير وهى تعمل على تحطيم أسرة والزواج من رجل بعد أن تحرم منه زوجته وابنته !

ـ لا . أبدا . لقد تحدثت معها طويلا فى هذا الشأن ، فضحكت وقالت ان الانسان يجب أن يبحث عن السعادة فى الحياة وما دامت الحياة الزوجية بين كريل وزوجته قد أصبحت سلسلة

من المشاجرات والمنازعات ، فليس هناك أفضل من أن يتحرر كل منهما من الآخر ، ورغم أني لم أقتنع طبعا بمنطقها ، فاني لم أستطع أن أقنعها بمغبة هذه المغامرة التي توشك على ركوبهـا بالزواج من رجل يكبرها بعشرين عاما

وبعد برهة صمت ، قال بوارو :

ـ ألا لا زلت يا مستربليك هاويا لاستخراج العقاقير من الاعشاب الطبية ؟

ـ لا لا لا . لقـد نفضت يدى تماما من هذه الهواية بعد المأساة فأنا حتى اليوم لا زلت أشعر بأنى لا أخلو من المسئولية غير المباشرة فيما حدث

ـ هل وجدوا بصمات أصابع على زجاجة الكونين التى بقيت فى معملك ؟

ـ نعم ، بصمات أصابع كارولين فقط

ـ وأصابعك أنت ؟

ـ لا ، لم أمسك الزجاجة بيدى ، وانما اشرت اليها فقـط أثناء حديثى . ولا شك أن آثار بصماتي القـديمة عليهـا زالت بسبب استعمال المنفضة يوميا لازالة الغبار عن الزجاجات ، وبهذه المناسبة كنت أنا الذى انظف الزجاجات . لم أكن أسـمح للخدم بدخـول المعمل . كنت أحرص دائما على غلق بابه بالمفتاح

ـ ومتى اختلست كارولين كمية الكونين ؟

ـ ونحن فى طريق الخروج من المعمل ، فقد كانت هى آخر من خرج ، وقد وقفت أنا بالباب أتحدث قليلا مع الزا جرير ، ثم ناديت على كارولين حين رأيت انها تأخرت فى الخروج ، فجـاءت مضـطربة متوهجة الوجنتين ، متألقـة العينين . يا الهى ! انى أكاد اراها الآن

ـ هل دارت بينك وبين كارولين محادثة بعد ظهر ذلك اليـوم ، اعنى محادثة بشأن الموقف الذى كان بينها وبين زوجها

ـ نعم ، ولكن فى كلمات قليـلة . عنـدما رأيتها مضطربة النفس ، قلت لها : « هل حدث شيء ياكارولين ؟ »

فقالت : « حدث كل شيء ، بل يمكنك أن تقول لقد انتهى كل شيء . لقـد انتهيت أنا يا ميرديث » ثم أرسلت ضـحكة عصبية ،

وتحولت نحو الآخرين فى ابتهاج مصطنع

وصمتت ميرديث برهة ، قبل أن يستطرد قائلا :

ـ أؤكد لك يا مسيو بوارو أن كارولين كانت صادقة حين اعترفت اثنـاء المحاكمة بأنها اختلست كمية الكونين لتنتحر بهـا . نعم ، انها لم تفكر فى قتل زوجها الا فى اليوم التالى

ـ هل انت واثق تماما أن كارولين هى القاتلة ؟

ـ اذا لم تكن هى ، فمن يكون ؟ ام لعلك تعنى ان الحادث وقع قضاء وقدرا ؟

ـ ربما

ـ هذا عجيب جدا

ـ لماذا ؟ الم تقل انت، ان كارولين كانت دائما سيدة رقيقة لطيفة ، أى ملاك بالقياس الى زوجها ؟

ـ نعم

ـ فهل يمكن لمثل هذه السيدة ان ترتكب جريمة قتل عمـد مع سبق الاصرار ؟

ـ كان لكارولين ، رغم رقتها ولطفها ، لسان حاد لاذع تلهب به زوجها احيانا عندما يتمادى فى سوء سلوكه ، وكانت أحيانا تقول له : « اننى اكرهك ، لشد ما اتمنى ان اقتلك وامزق جسمك بيدى » او شيئا من هذا القبيـل . واعتقـد ان تصرفات كـريل الاخـيرة وتحديه السافر لها قد افقدها الصواب ، وجعلها تقدم على ارتكاب هذه الجريمة . ان التى ارتكبت هذه الجريمة ليست كارولين العاقلة اللطيفة ، وانما كارولين التى فقدت عقلها

ـ اذن فانت لا توافق على نظرية انتحار كريل ؟

ـ لا لا . ان كريل كان آخر انسان فى الدنيا يفكر ـ مجرد تفكير ـ فى الانتحار

ـ كأنك فى هذه الحالة جد واثق من ادانة كارولين

ـ أعود فأقول اذا لم تكن هى ، فمن يكون ؟

ـ أليس هناك احتمال ـ مجرد احتمال بسيط ـ فى أن يـكون القاتل شخصا آخر غيرها !

ـ انه احتمال مستبعد ، بل مستحيل . لقد كان فيليب من اخلص أصدقائه ، وليس هناك ادنى سبب لارتكاب مثل هذه الجريمة .. وأنا ! هل أبدو فى نظرك قاتلا ؟ حسنا • والزا هل يعقل أن تقتل الشخص الذى كانت تحبه بكل ذرة من كيانها .. المعقول ان تقتل كارولين ، وكذلك لا يعقل أن ترتكب صبية مثل انجيلا جريمة قتل. وليس هناك ادنى سبب يدفع مربية محترمة مثل المس ويليامز الى ارتكاب هذه الجريمة . وكذلك الخدم لم يكن لهم اى دخل فى الموضوع كله

فقال بوارو بعد برهة صمت :

ـ هل يمكن يا مستر بليك أن تتكرم وتكتب كل ماتعرفه أوتذكره عن هذه المأساة ، لقد وافق شقيقك المستر فيليب على كتابة ذكرياته بخصوص هذا الموضوع

ـ فيليب ؟ هل تحدثت معه فى هذا الشأن ؟

ـ نعم

ـ لا شك فى انك لاحظت مبلغ تحامله على كارولين

ـ لقد أدهشنى هذا التحامل فعلا

ـ لقد كان معاديا لها دائما

ـ لماذا ؟

ـ لا ادرى ، كان شديد السخط عليها بمناسبة وبغير مناسبة . واعتقد انه كان شديد الاستياء يوم تزوجت كريل ، بل انه امتنع عن الذهاب اليهما عقب الزواج عاما كاملا ، ومع ذلك فقد ظل أمياس اخلص اصدقائه . واعتقد ان هذا هو السبب . فقد كان يعتقد ان امياس اعظم شأنا منها ، وكان يخشى أن زواجه بها سيفسد صداقتهما الرائعة

ـ وهل هذا ما حدث ؟ !

ـ لا ، فقد ظل أمياس شديد الوفاء لفيليب الى آخر لحظة

ـ وماذا كان شعور أخيك بشأن موضوع الزا جرير ؟

ـ كان متناقض الشعور عن هذا الموضوع . كان ساخطا على أمياس لتعلقه بفتاة تصغره بعشرين عاما ، وكان فى الوقت نفسه ـ

يشعر بالسرور الخفى لان كارولين سوف تنفصل فى النهاية عن صديقه الوفى

فرفع بوارو حاجبيه فى دهشة وقال :

ــ احقا ؟

ــ هذا هو شعورى الخاص وان كنت غير واثق تماما

ــ وماذا كانت حالته بعد المأساة ؟

ــ كان شديد الحزن الى حد الانهيار . لقد كان فيليب يحب امياس اشد الحب بل كان يراه مثلا اعلى . ولعل هذا هو الذى جعله يزداد كرها لكارولين وسخطا عليها

وبعد برهة صمت ، قال ميرديث فجأة :

ــ لقد انتهى كل شىء ، فلماذا كل هذا الحديث عن الماضى وذكرياته المؤلمة ؟

ــ هذا هو ما ارادته كارولين كريل

ــ كارولين ؟ ! ماذا تعنى ؟

ــ لقد تركت لابنتها كارلا خطابا قصيرا ، وطلبت من المسئولين الا يسلموه لها الا بعد بلوغها الحادية والعشرين ، فهل تعرف ماذا كتبت فى هذا الخطاب ؟

ــ لا . . . طبعا

ــ اقسمت فيه لابنتها ، وهى على فراش الموت ، انها بريئة !

ــ هل . . . أقسمت كارولين . . . على هذا ؟

ــ نعم ، هل ادهشك هذا ؟

ــ جدا ، لو انك رأيتها اثناء المحاكمة ، لما خالجك ادنى شك فى ارتكابها للجريمة . فقد كانت شاحبة ، متهالكة ، مستسلمة لهجمات ممثلى الاتهام ، معترفة بكل شىء تقريبا فيما عدا ارتكابها للجريمة ، أى فيما عدا وضعها السم فى الشراب لزوجها . لقد بدت لى يومذاك الانموذج الكامل للزوجة التى قتلت ــ فى ساعة يأس ــ زوجها الحبيب ، ثم ندمت ، وقررت أن تلحق به . . اما الآن

ــ اما الآن ؟

ــ بعد أن اقسمت فى خطابها لابنتها على براءتها ، فقد بدأت اشك

بل بدات اعتقد انها بريئة حقا ، فانا اعرف تماما ان كارولين كانت من الاشخاص القليلين جدا الذين لا يعمــدون الى الكذب لاى سبب ، ولكن . . .

وصمت ميرديث برهة ، وراح ينظــر فى ذهــول الى بوارو ثم قال :

ـ نعم ، ولكن اذا لم تكن هى ، فمن يكون ! اننى شخصيا لا أرى اى احتمال آخر

ثم أردف قائلا فى حدة لبوارو :

ـ وانت . . . ما رايك ؟

ـ أنا لا رأى لى · اننى الآن أجمــع الحقــائق فقط · اننى أريد أن اعرف كيف كانت كارولين ، واميــاس ، والاشــخاص الذين شهدوا المأساة . اريد أن اظفر من كل واحــد من هؤلاء الاشــخاص برايه الخاص ، وبشعوره ، وبرد الفعــل الذى تركتــه المأســاة فى نفســه ، وبذكرياته الخاصة عنها . . ومن هذا كله استطيع أن اصل فى النهاية الى الحقيقة

فقال ميرديث متحمسا :

ـ هذه فكرة صائبة . وانا متفــق معــك . ومن حسن الحظ انى احتفظ بمفكراتى القديمة ، ويمكننى أن أكتب لك ، اذا شئت ،تقريرا كاملا عما حدث فى ذلك اليوم ، وفى اليــوم السابق عليــه . ولــكن اسلوبى فى الكتابة ليس كما ينبغى

ـ أوه . . . اننى أريد الحقائق فقط ، اما الاســلوب فــلا يهم . وبهذه المناسبة أعتقد أن قصر آلدربرى قريب من هنا . فهل يمكن ان اذهب اليه وارى هذا المسرح الذى جرت عليه احداث المأساة ؟

ـ ممكن جدا ، ولكن كثيرا من التغييرات ادخلت عليه

ـ هل هدم واقيم من جديد ؟

ـ لا · اشترته احدى الجمعيات ، وجعلت منــه مصيفا للشباب ، وملأت الغرف بالفواصل والحواجز لتكون مقصورات صغيرة للنوم

ـ ومن الذى باعه !

ـ الوصى على كارلا ، باعه وضم ثمنه الى اموالها التى ورثتها عن أبويها

- ألم ترث انجيلا شيئا ؟

- لا ، مطلقا ، ولكنها كانت وارثة عن أبيها ثروة صغيرة

- آه . فهمت . حسنا . يمكنك يامستر بليك أن تبين لى الاماكن التى تناولها التغيير

- نعم ... نعم . ومن حسن الحظ أن الممرات وحديقة البحر لا تزال كما هى

وفيما هما يسيران ، قال بوارو حين رأى البحر أمامه :

- الى أين نمضى ؟ !

- اننا نمضى الى خليج ضيق يمتد من البحر الى داخل اليابسة ، وهذا الخليج يفصل بين ضيعتى وضيعة آلدربرى . ونحن سنعبره الآن بالزورق فى خمس دقائق ، أما اذا سرنا حول نهاية الخليج ، فاننا نصل بعد ساعة ونصف ساعة

ولما عبرا الخليج بزورق خاص ، أردف ميرديث قائلا :

- هذا هو الطريق الذى كنا نتبعه منذ القدم الا اذا قامت عاصفة شديدة ، ففى هذه الحالة نستخدم الطريق البرى

وفي الجانب الآخر من الخليج، شاهد بوارو مجموعة من «الكابينات» المشيدة بالاسمنت ، والمخصصة للسباحة ، وقد أشار اليها ميرديث قائلا :

- هذه كلها منشآت جديدة لم يكن لها وجود من قبل

وفيما هما يسيران صعدا فى ممر متعرج تحف به الاشجار ، أردف ميرديث قائلا :

- من المحتمل الا نلتقى بأحد هنا ، فاننا الان فى شهر ابريل ، ولم يبدأ موسم الاصطياف بعد . وحتى اذا التقينا بأحد ، فلا خوف ، لانى على علاقة طيبة بجميع جيرانى

ولما بدأ الممر يدور حول سور حجرى ، أشار ميرديث اليه وقال :

- هذا هو سور حديقة البحر . ونحن نسير حوله الآن فى الطريق الصاعد الى القصر

وسارا مرة اخرى فى منعطفات الممر المحفوف بالاشجار حتى وصلا الى باب حديقة البحر . وكان من الممكن أن يتجاوزاه ويواصلا

لسير فى الممر الى القصر ، ولكن ميرديث فتح الباب ، ودخـــل مع وارو الى حديقة مشمسة ، ساطعة الضوء ، تقـــوم على هضـبة تشرف على مياه البحر ، وكانت بها بعض الاشجار القليلة وأحواض لزهور . وقد قال بوارو وهو يمسحها بنظراته :

ـ مكان شاعرى جميل

وأشار ميرديث الى جوسق خشبى متهدم وقال :

ـ هنا كان امياس يحتفظ بأدوات الرسم وبعض زجاجات البيرة والاقداح . وكان ثمة مقعد مستطيل ، ومنضدة وحامل للرســم . ولا شيء غير هذا

ـ وهناك ... مات أمياس ؟ !

ـ نعم . على المقعـد المستطيل الذى كان موضوعا بالقـرب من جوسق أدوات الرسم . وكان من عادته أن يرقـد فوق المقعـــد على وجهه ساعة أو أكثر او اقل ، يفكر ، ويتأمل ، أو ربما يستوحى آلهـة الفن ، ثم يقفز واقفـا ويعمل بفرشاته كالمجنون فى اللـوحة . وهكذا ...

وصمت برهة قبل أن يردف قائلا :

ـ هذا هو السبب الذى جعله يبدو فى نظرى طبيعيا حين غادرت هـــذه الحديقة مع الزا الى طعام العشاء . لقد كنت جالسا فى ذلك المكان المرتفع الذى تراه يشرف على الحديقة من ناحيـة القصر . فلما دق جرس الغداء ، نهضت ، وهبطت ، وكانت الزا أسـبق منى الى الباب ، وكان امياس متهالكا على المقعد يستريح ، وقد علمت من الزا أنه ســيتم ليتم اللمسات الاخـيرة من اللوحة . وكان هو ينظر الينا نظرات غريبة لم أفهم معناها فى تلك اللحظات . ولـــكن لم يكن ثمة امارات للالم على وجهه . حمـــدا لله ، وانمـــا كان ـ دون أن ندرى ، فى حالة شلل

ـ ومن الذى اكتشف وفاته ؟

ـ كارولين ... الزا وأنا كنا آخر من رآه حيـا . على كل حال سوف اكتب لك تفاصيل ماحدث بدقة

ـ.ـف الرجلان صعودهما فى الممر المتعرج حتى وصـلا الى هضبة اخرى صغيرة تشرف على حديقة السطح وتظللها الاشجار ،

وقد قال ميرديث انها المكان الذى كان جالسا فيه ينظر الى أميـــاس وهو مشغول برسم لوحة الزا

وبعد ان وصلا الى القصر وطافا بحجراته ، ووقفا برهة فى شرفته الكبيرة ، عادا الى شاطىء الخليج عن طريق ممر آخر ، أطول ، حتى اذا بلغا ضيعة هاندكروس مرة أخرى ، قال ميرديث وهو يدخـــل ردهة بيته مع بوارو !

ـ لقـد اشتريت تلك اللوحة طبعا . اللـوحة التى مات اميـاس وهو يرسم اللمسـات الاخيرة فيها . لم أشأ أن اجعلهـا تقـع فى أيدى جماعة من الفلاظ الحمقى الذين لن يروا فيها الا فتـاة جميلة فى سراويل قصيرة تكشف عن ساقيها واعلى فخذيها ، وجزء كبـير من صدرها . فهل تحب أن تراها ؟

فلما أومأ بوارو برأسه ، مضى ميرديث به الى غـرفة أدرك بوارو من النظرة الاولى انها غرفة المعمل القـديم . فقـد كانت زاخـرة بالارفف والزجاجات القديمة الفارغة ، ومنضـــدة فى الوسط . ولما فتح ميرديث نافذتهـا ، انســاب اليها الضوء مع عطر نســائم الربيع

ووقف بوارو يستنشق رائحة أزهار اليـاسـمين ، بينمـا قال ميرديث :

ـ هنا بالقـرب من هـذه النافذة كنت واقفا . يا للذكريات . . . كما اقف الآن أشم عطر الياسمين . وكنت أحدثهم ـ بحمـاقة ـ عن مفعول مختلف العقاقير التى استخرجها من النباتات الطبية

ثم تحـرك ميرديث الى الجدار المواجه للنافذة ، ورفع غطاء زاخرا بالغبار من فوق لوحة فنية ، واذا بوارو ينظر فى دهشة واعجاب الى صورة زيتية لفتاة جميلة فى قميص مفتوح أصفر اللون ، وبنطلون قصير أزرق اللون ، جالسـة على سياج حجرى من الحجارة القاتمة ، ومن ورائها الافق الازرق البعيد

ورغم ألوان الصورة الصارخة ، المتنافرة ، فقد أحس بوارو أنه أمام عمل فنى ينم عن عبقرية خاصة وموهبة أصـيلة . عمل يكاد ينبض بالحياة والشباب ، وبالحيوية ، أما عيناها ! فان بوارو شـعر برعدة تسرى فى جسمه وهو يتأمل وجه الفتاة المفعم بالجاذبية والفتنــة والتوثب

وقال بوارو وهو يشير بيده الى اللوحة :

ـ انها ، حقا ، عمل فنى عظيم ... عظيم جدا

وقال ميرديث بأنفاس لاهثة :

ـ ولشد ما كانت متوثبة بالشباب والجمال !

ـ نعم بالشباب ... الشباب الذى اجتمعت الآراء على أنه ... الشباب القوى الطائش ، القاسى ، العنيف

وفيما هو يغادر الغرفة مع ميرديث ، توقف برهة ، واستدار الى الصورة ، ورأى العينين تحدقان النظر فيه ، وشاهد فى نظرات العينين شيئا عجيبا ، مثيرا . وفهم بوارو هذا الشىء ، ولكن ترى كيف يكون الحال لو انه اخطأ الفهم ؟ فهل ستصارحه صاحبة العينتين ، وهى لم تزل على قيد الحياة ، وفى أوج الانوثة ، بكل شىء ! !

أم أن المراة الحقيقية لا تعرف معنى النظرات التى كانت منبعثة من عينيها اثناء التصوير ؟ انها نظرات فتاة أحبت ... أحبت بكل كيانها ... بكل قطرة فى دمائها ... بكل خلجة من أعماق نفسها ، وانتعشت بالانتصار فى الحب ، ورأت الدنيا كلها مختزلة فى وجه الحبيب ، ثم جاء الموت ، واختطف منها الحب ، والامل ، والسعادة ، واطفأ ذلك النور المقدس من العينين ، وحل محله ، ياللهول !

ترى ما شكل عينى الزا جرير الآن !

وغادر بوارو الغرفة ، بعد أن القى نظرة أخيرة

وقال لنفسه :

ـ لقد كانت متوثبة بالحياة الى حد ... التحفز

ومرة أخرى سرت فى جسده رعدة خفيفة

الفصل الخامس

ذات العينين الحزينتين

كان كل شيء فى قصر اللورد ديتشسام ينم عن الثراء والترف ، بل ينم عن الرغبة فى اقتناء الافضل والاثمن . وهناك ، فى احدى قاعات الاستقبال الفاخرة ، وقف بوارو أمام الليدى ديتشسام ، بعد أن اذنت له بالمقابلة ، حيث كانت بدورها واقفة بجانب مدفأة فاخرة

وكانت اول عبارة وردت بذهن بوارو ، وهو يرى الليدى ديتشام ، أى الزا جرير ، هى : « لقد ماتت فى شبابها ! »

لقد خامره الشك ، برهة ، فى أن هذه السيدة ، هى نفسها الزا جرير ، التى شاهد صورتها فى غرفة معمل المستر ميرديث بليك .. لقد كانت الصورة لفتاة تنبض بالحيوية والشباب الفائر الثائر .. أما هنا ، أما هذه السيدة ، فليس فيها من امارات الشباب شيء . نعم ان الجمال موجود ، وموفور ، وناضج ، ولكن الشباب ، الحيوية ، البهجة ، الحماس ، اللهفة الشوق الى المجهول. الامل فى الغد ، كل هذا لم يكن موجودا

ان بوارو يذكر فى تلك اللحظة مأساة روميو وجولييت ، لقد ماتت جولييت لانها لم تطق البقاء بعد روميو ، أما الزا ، فانها بقيت على قيد الحياة ... ميتة !

وكانت هى تتحدث بصوت رتيب رنان :

ـ تفضل بالجلوس يا مسيو بوارو،وثق اننى مهتمة بالموضوع الذى أجله جئت

وقال هو لنفسه :

« لا ... انك كاذبة ، ان كل شيء ينم على أنك لم تعودي تهتمين بشيء ... أى شيء »

وبصوت مرتفع قال :

ــ انني يا سيدتي مرتبك ، مرتبك جدا !

ــ لماذا ؟

ــ لانى أدرك أن الحديث عن الماضى ، عن هذه المأساة بالذات ، مؤلم لك

فابتسمت وقالت :

ــ هذا لانك تعتقد انني سيدة مرهفة المشاعر ، والواقع انني ابعد الناس عن المشاعر المرهفة . انني امراة واقعيـــة ، لا مجـــال للخيال في حياتي . لقـــد كان أبى كما تعلم صـــبى طحان ، وظـــل يجـــاهد فى الحياة حتى نجح وكون ثروة طـــائلة . والرجل العصامى ، عادة ، لا يعرف شيئا أسمه الاحساسات المرهفة

وقال بوارو لنفسه :

« نعم ، صـــدقت فلو كنت مرهفة المشاعر ، لمـــا جرؤت على الذهاب الى قصر كريل والحياة مع زوجته تحت سقف واحد »

وعادت هى تقول :

ــ ماذا تريد أن تعرف منى ؟

ــ هل أنت واثقة يا سيدتي أن الحديث عن هـــذا الموضـــوع لا يؤلمك ؟

وترددت برهة . وأدرك بوارو فجاة ، أن هـــذه السيدة الجالسة معه ، صريحة بطبيعتها ولكنها قد تلجأ الى الكذب للضرورة وأخيرا قالت :

ــ ان هذا الموضوع ، أعنى الحديث عنه ، لا يؤلمنى ، وانى اتمنى لو انه يثير ألمى

ــ لماذا ؟

ــ لان من قسوة الحيـــاة أن يعيش الانسان بدون مشاعر أو احساسات

وعاد بوارو يؤكد لنفسه قائلا :

« نعم أن الزا جرير قد ماتت »

وقال بصوت واضح :

ـ على كل حال ان موقفك هذا ييسر مهمتي ، فشكرا
ـ ماذا تريد ان تعرف !
ـ أتتمتعين بذاكرة قوية يا سيدتي ؛
ـ نعم
ـ وواثقة تماما أن الحديث عن هذه المأساة لا يثير اشـجانك وآلامك ؟
ـ أؤكد لك انني ، حتى أثناء المحاكمة ، لم اكن أشعر بالالم ، بل على العكس ، لقد استمتعت بها برغم سخط الجماهير علي • لقد كان محامي الدفاع قاسيا علي ، ولكني عرفت كيف أحاربه وانتصر عليه . نعم كانت أيام المحاكمة كلها مثيرة رائعة ، ولشد ما تمنيت لو أنها انتهت بصدور حكم الاعدام على كارولين

ونظر بوارو الى يدي الزا ديتشام • يدان جميلتان ••• ولكن بأظافر طويلة معقوفة كالمخالب !

وعادت هي تقول :

ـ لعلك تظن انني امرأة قاسية لا ارحم . نعم هذه هي الحقيقة . انني لا اشعر بالرحمة لمن يسيء الي . ولقد أساءت تلك المرأة الي اساءة لا تغتفر ، اساءة حطمت حياتي كلها ، كانت تعلم أن أمياس يحبني ، وانا أحبه بكل ذرة من كياني ، واننا سنتزوج حالما يتم طلاقه منها . ومع ذلك قتلته حتى لا أسعد بالحياة معه

وشردت نظراتها وهي تردف قائلة :
ـ فهل هناك اساءة أشد من هذه !
ـ الم تحاولي أن تلتمسي لها العذر ؟
ـ لا ، مطلقا • انني كما ذكرت امرأة واقعية ، اذا خسر الانسان المباراة ، فيجب أن يعترف بالهزيمة • واذا عجزت المرأة عن الاحتفاظ بزوجها ، فيجب أن تفرج عنه وتطلق سراحه . انني لا أفهم معنى احتفاظ امرأة بزوج لا يريد الحياة معها
ـ لعلك كنت تفهمين هذا المعنى لو تزوجت به ؟
ـ لا اظن .... اننا لم نكن •••

ثم توقفت فجأة عن الحديث ، وابتسمت . وشعر بوارو بشيء من الخوف وهو يرى هذه الابتسامة الغامضة على شفتيها ، ولكنها اردفت قائلة :

ـ احب اولا ان ابين لك بوضوح ان امياس كريل لم يقع فى حبائل جاذبية فتاة بريئة صغيرة معجبة به . انا التى اوقعت به فى حبائلى لقد التقيت به فى حفلة ، واحببته من اول نظرة ، وقررت ان اضع نفسى ، وثروتى ، واعيش بجانبه كالجارية

ـ رغم انه زوج ووالد ! !

ـ نعم ، ولم لا ؟ لقد كان شقيا فى حياته الزوجية ، فلماذالايسعد بالحياة معى ، ان للانسان فى هذه الدنيا حيـــاة واحدة فقط

ـ ولكن المعروف انه ، رغم كل شىء ، كان سعيدا مع زوجته !

ـ لا لا . كانا يتشاجران دائما ، وكانت هى تطلق عليـه لسانها السليط كل يوم تقريبا . كانت زوجة لعينة . لعنها الله

ونهضت الزا ديتشام واقفة ، وأشعلت لفافة تبغ ، ثم قالت :

ـ قد اكون قاسية عليها ، ولكننى اعرب عن شعورى نحوها ، وعن كراهيتى لها وحقدى عليها

ـ لا شك انها كانت مأساة عنيفة .

ـ نعم . مأساة عنيفة ... قاسية... رهيبة... مأساة قتلتنى . أماتتنى ... جعلت حياتى خواء ... خالية ... فارغة ..

ثم لوحت بيدها واردفت قائلة :

ـ اصبحت كسمكة ميتة ... محشوة للزينة !

ـ الى هذا الحد كان امياس كريل يهمك ؟

فاومأت براسها ايماءة اكدت بها لبوارو ان امياس كان ، بالنسبة لها ، كل شىء فى الحياة ، ثم قالت :

ـ اننى يا مسيو بوارو امرأة عنيـدة منذ طفولتى ، وقد كان من الممكن أن أقتل نفسى بعد امياس ، ولـكننى لم أفعـــل ، فان قتـل نفسى معناه الهزيمة أمام الحياة . وانا لم اتعود الاعتراف بالهـزائم

ـ وبعد هذا ؟

ـ لا شىء . قررت أن أقاوم واتغلب على الصـــدمة واعيش . ولم يعد الامر بالنسبة الى الآن الا ذكرى ... مجرد ذكرى

وبعد برهة من الصمت أردفت قائلة :

ـ اننى لم أكن فى يوم ما منافقة ، أو مرائيـــة ، وانمـــا اسير على المثل الاسبانى القـائل : « خذ ما تريد وادفع الثمن ... هـكذا الحياة » . وأنا أفعل هذا . أحاول ان اظفـر بكل ما اريد دون ان اخشى من دفع الثمن

ــ ولكن فى الحياة اشياء كثيرة لاتباع !

ــ نعم . ولهـــذا فانا لا اقصد بكلمة « الثمن » المـال دائمـا ، فان الثمن يتوقف على طبيعة الشىء الذى تريده

ــ اننى أفهم ما تعنين ، ولكن ، مع هذا ، فان ثمة أشياء كثيرة لا تباع بالمال او بغير المال

ــ كلام فارغ

وابتسم فى رفق ، بينما أردفت هى قائلة :

ــ حدثنى عن هذا الكتاب الذى تنـوى شركة النشر اصـداره . ما الغرض منه ؟

ــ اى غرض يمكن ان يكون أكثر من ربط أحداث الماضى بمثيرات الحاضر ؟

ــ ولكنك لست كاتبا ؟ !

ــ لا . ولكنى خبير بالكشف عن الجرائم

ــ هل تعنى انك مكلف بتحقيق هذه الجريمة ؟

ــ مكلف بالوصول الى الحقيقة . . . أيا كانت

ــ ممن ؟ !

ــ من كارلا لامرشانت ؟

ــ من هى ؟ !

ــ انها ابنة كارولين وامياس كريل

ــ آه . . حقا . . كانت لهما طفلة صغيرة عند وقوع المأساة . . لاشك انها كبرت الآن

ــ نعم . انهـا الآن فى نحو الحادية والعشرين ، طـويلة ، رشيقة ، رائعـة الجمـال . واعتقد انهـا قوية الشخصية موفورة الشجاعة

ــ اننى اتمنى أن اراها

ــ ولكنها قد لا تريد أن تراك

ــ لماذا ؟ آه . . . فهمت ، ولكن من المحتمل أنهـا لا تذكر شـيئا مما حدث ، فانها لم تتجاوز يومـذاك الخامسة أو السادسة من عمرها

ــ انها تعرف أن امها حوكمت بتهمة قتل أبيها

ــ ولا شك أنها تعتقد أنني السبب المباشر فى كل ما حدث

ــ محتمل ... أو مرجح ...

فهزت الزا كتفيها وقالت :

ــ يا للحماقة ؟ ان كارولين فى الواقع هى السبب ، فلو أنها كانت واقعية فى تصرفاتها لما ...

ــ اذن فأنت لا تشعرين بأية مسئولية فيما حدث ؟

ــ لماذا أشعر ؟ ليس هناك ما يدعونى للخجل .. مطلقا . لقد أحببته ، وكنت أريد أن أسعده . اننى لا أدرى كيف أجعلك تنظر الى الامر من زاويتى ، فلو أنك كنت تعلم حقيقة الجو المخيط بالمأساة ...

فانحنى بوارو فى لهفة وقال بسرعة :

ــ هذا ما أريد أن أعرفه ، فعلا ، وقد وعد المستر فيليب بليك بكتابة تقرير مفصل عن كل ما حدث ، وكذلك وعد المستر ميرديث بليك ، فاذا سمحت أنت ...

فتنفست بعمق وقالت باحتقار :

ــ ان هذين الاخوين كانا دائما أحمقين .. كان فيليب يخفى غرامه بكارولين تحت ستار من الكراهية ، وكان ميرديث يتمنى رضاها ، ولكنه انسان طيب ، ساذج . أكبر ظنى أنك لن تظفر بشىء ذى بال من تقريرهما

وصمتت برهة قبل أن تقول فجأة :

ــ هل تريد الحقيقة ، الحقيقة لذاتها ، لا للنشر والاثارة ؟

ــ اننى لن أنشر شيئا الا باذنك

ــ لشد ما أهفو الى كتابة الحقيقة ، نعم ... الى شرح موقفى الحقيقى من هذه المأساة .. الى افهام الناس أن الحب ليس خطيئة .. وليس ذنبا .. وان من حق كل انسان أن يحب .. وأن يتحرر من قيود الشقاء .. وأن يبحث عن السعادة .. نعم أريد ان أكشف للناس حقيقة تلك المرأة التى فضلت الموت لزوجها على اطلاق حريته

والتمعت عينا الزا فجأة ببريق غريب ، وأردفت قائلة :

ــ قتلته .. قتلت أمياس .. أمياس الذى كان يريد أن يعيش ، وأن ينعم بالحياة ، لا ينبغى أن يكون الحقد أقوى من الحب فى هذه

الدنيا .. ولكن الحقد أعمى .. فعلا .. وانى لأحقد عليهـا .. أكرهها .. أكرهها .. أكرهها .!

ونهضت اليه ، وامسكت بكم سترته ، واستطردت تقول بصوت كالفحيح :

ـ ينبغى أن تفهم .. نعم ينبغى أن تدرك تماما كيف كـان الحب بيننا ـ أنا وأمياس ـ لسوف أطلعك على شيء

واستدارت بسرعة ، وفتحت درجا صغيرا ، وتناولت منه خطابا قدمته الى بوارو وهى تقول :

ـ اقرأ هذا .. اقرأ لكى تفهم مدى الحب الذى كان يربط بيننا

« الزا .. يا طفلتى المدهشة العجيبة التى ليس لها مثيـل فى الدنيا .. اننى خائف .. اننى أكبر منك سنا .. رجل فى منتصف العمر .. دموى المزاج .. متقلب الاهواء .. لا مبادىء له أو مثل عليا .. لا تثقى فى .. لا تؤمنى بى .. اننى رجل شرير ، وان كنت فنانا نابغة .. ان أجمل وأعظم ما فى نفسى ، أسكبه فى فنى فقط .. فلا تقولى يوما اننى لم أحذرك

« حسنا يا حبيبتى .. اننى ، برغم كـل شيء . سأظفر بك .. اننى على استعداد ، كما تعلمين ، لمحالفة الشيطان من أجلك ، ومن أجل رسم صورة لك تجعل عالم الفن يمسك جنبيه من فرط الدهشة والاعجاب .. اننى مجنون بك .. اننى لا أستطيع النوم ، ولا الطعام .. الزا .. الزا .. الزا .. اننى ملك يمينك الى آخر العمر . أمياس »

ورفع بوارو عينيـه ونظر الى الزا ، وبدت له فى تلك اللحظة متوهجة الوجنتين ، وكأنما عادت الى الوراء ستة عشر عاما .. وكأنما لكلمات الخطاب رنين أجراس الحب فى أذنيها ...

الفصل السادس

مس وليامز تتحدث

قالت مس ويليامز فى لهجة جادة حاسمة :

ـ هل أستطيع أن أسألك يا مسيو بوارو لماذا ؟

وكان بوارو قد صعد بعد عناء الى الغرفة الوحيدة التى تقيم بها مس ويليامز ، وكانت غرفة تنم عن رقة الحال ٠٠ كانت مس ويليامز جالسة أمامه ، على أريكة قديمة ، بوجهها المغضن ، اذكانت قد بلغت الستين من عمرها ، وكانت تردد :

ـ انك تريد ذكرياتى عن مأساة أمياس كريل وزوجته ، فهل لى أن أسأل لماذا ؟

وشعر بوارو أنه ، أمام هذه السيدة التى قضتحياتها فى تربية وتعليم الاطفال ، لا يستطيع أنيكذب ، وكأنما هو ، قد تحول فجأة، الى طفل أمام مربيته الحازمة ٠ ومن ثم لم يسعه الا أن يذكر لها الحقيقة كاملة ٠ وأنصتت هى اليه فى اهتمام ، ثم قالت أخيرا :

ـ كيف حال هذه الطفلة المسكينة الآن ؟ لا شك أنها كبرت وأصبحت شابة !

ـ نعم ٠٠٠ وجميلة ، وقوية الشخصية،وشجاعة القلب٠ويمكننى القول ، انها أيضا قوية الارادة ، وهى مصرة على أن تصل الىالحقيقة بأى ثمن !

ـ هل تتمتع بمزاج فنى كأبيها

ـ لا أظن

ـ حمدا لله ٠٠ اذن فهى أقرب الى أخلاق أمها من أبيها

ـ أعتقد هذا ٠٠ ويمكنك أن تتأكدى من هذه الحقيقة اذا رأيتها

ـ انني أحب أن أراها ، فقد اعتقدت دائما أن أسعد برؤية الاطفال بعد أن يكبروا ويصبحوا رجالا ونساء ...

ـ من حسن حظها أنها كانت طفلة صغيرة عند وقوع مأساة والدبها ..

ـ نعم .. مؤكد .. لو أنها كانت أكبر ، لتركت الصدمة فى نفسها أثرا لا يمحوه الزمن ..

ـ بهذه المناسبة يا مس ويليامز .. هل أستطيع أن أعرف رأيك عن العلاقة الحقيقية التى كانت بين كارولين وابنتها الطفلة كارلا .. هل كانت بالنسبة لها أما مثالية ؟

فصمتت مس ويليامز برهة ثم قالت .

ـ نعم الى حد ما .. كانت تهتم بها ، وتُعنى بصحتها وتقوم على رعايتها كأحسن ما تكون الرعاية . ولكنها ، مع هذا ، كانت متفانية الى حد التضحية بالنفس فى حب زوجها أمياس .. لم أشهد فى حياتى زوجة أحبت زوجها بمثل هذه القوة والتفانى ... كانت تعيش فيه . وبه ، ومن أجله .. وأعتقد أن هذا يفسر الدافع الذى جعلها تقضى عليه حتى لا تراه بين ذراعى امرأة أخرى

فقال بوارو فى دهشة :

ـ هل تعنين أنهما كانا أقرب الى عاشقين منهما الى زوجين ؟

ـ أعتقد هذا برغم المشاجرات التى كانت تقوم بينهما

ـ وهل كان مخلصا لها كاخلاصها له ؟

ـ نعم .. ولكنه اخلاص كاخلاص الرجال !

وصمتت برهة ، وأدرك بوارو من لهجة صوتها وهى تنطق بالكلمة الاخيرة مبلغ حقدها على الرجال عموما ، ومن ثم قال باسما فى رقة :

ـ يبدو أن لك رأيا خاصا فى الرجال ؟

فقالت بجفاء :

ـ ان الرجال هم الذين يحكمون هذا العالم .. وهم الذين يملأونه بالحروب والفساد والشر .. وأنا أرجو الا يدوم هذا طويلا

ونظر بوارو اليها برهة متأملا ، ثم قرر أن يخرج بها من النظرة العامة الى الخاصة نحو الرجال ، فقال :

ـ كأنك لم تكونى تحبين أمياس كريل ؟

ـ نعم .. لم أكن أميل اليـــه أو أرضى بتصرفاته . ولو كنت زوجته ، لما قبلت الحياة معه بأى ثمن ، فهناك أشياء لا يمكن للزوجة أن تحتملها

ـ ولكن مسز كريل كانت تحتملها

ـ نعم

ـ كأنك كنت تعتقدين أنها مخطئة في هذا الاحتمال !

ـ نعم .. ينبغى على المرأة أن تحافظ على كرامتها ولا تخضـــع للاذلال المهين

ـ هل حدثت مسز كريل برأيك هذا أثناء اقامتك معها ؟

ـ طبعا لا .. ولمــاذا أفعل ؟ لقد كنت مكلفة بالتدريس لانجيلا وارين ، لا لاسداء النصائح لهذا أو ذاك

ـ ولكنك كنت تحبينها !

ـ نعم .. أحبها أشد الحب .. ولشد ما حزنت عليها ولأجلها

ـ وتلميذتك ، انجيلا وارين ؟

ـ كانت فتاة عجيبة ، من أعجب الفتيات اللائى درست لهن : عقل ذكى ، وشقاوة ، وسرعة غضب ، وجموح .. ولكنها ، مع هـــذا ، كانت لطيفة خفيفة الظل

ثم صمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ـ وكنت أشعر دائما أنها ستنجح في الحياة وتحرز شهرة واسعة ومركزا رفيعا ، وهذا ما حدث فعلا .. هل قرأت آخر مؤلفاتها عن الصحراء المصرية ، ؟. وهل علمت أنهـا هى التى اكتشفت بعض مقابر الملوك فى مديرية الفيوم بمصر ؟ اننى فى الواقع شديدة الفخر بها .. حقا اننى لم أبق معها فى آلدربرى غير عامين ، ولكنى أعتقد أنى استطعت توجيه عقلها وذهنها وآمالها فى هذا الطريق..طريق الكشف عن الآثار والاهتمام بالتاريخ

فقال بوارو :

ـ لقد علمت أنه كان قد تقرر ارسالها الى المدرسة ، ولا شك أنك لم تكونى موافقة على مثل هذا القرار ؟

ـ لا .. لا .. بل بالعكس .. كنت من أشد المؤيدين لتنفيذه .

ولسوف أخبرك لماذا ٠٠ فقد كانت انجيلا ، حين بدأت التدريس لها في سن الثالثة عشرة ٠٠ وهي سن خطرة مضطربة في حياة الفتيات ٠٠ وقد زادت حالة الاضطراب في خلال العامين اللذين أمضيتهما معها ٠٠ كانت ميالة بطبيعتها الى تدبير « المقالب » والتمادي في العبث والمداعبة ، وكانت تنتابها حالات مفاجئة ، فهي حينا غاضبة ثائرة ، وهي حينا حزينة منقبضة النفس بضعة أيام . ثم اذا هي تعود فتنطلق ، وتتسلق الاشجار ، وتجرى هنا وهناك في الحديقة الواسعة . غير حافلة بأوامر أحد . أو خاضعة لرغبات أحد !

وتوقفت مس ويليامز برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ـ ٠٠٠ وعندما تبلغ الفتاة مثل هذه المرحلة ، فان المدرسة خير علاج لها ٠٠ لاسيما اذا كانت البيئة المنزلية غير مناسبة لها ٠٠ فقد كانت مسز كارولين تسرف في تدليلها والدفاع عن أخطائها ٠٠ وكانت النتيجة أن أصبحت انجيلا ترى من حقها أن تكون لها الاولوية دائما في اهتمام أختها وعواطفها ٠٠ ورفض كريل بطبيعة الحال . هذا الوضع ٠٠ فما من رجل يرضى أن تضعه زوجته في المكان الثاني بعد أختها ٠٠ وحدث الاحتكاك المنتظر بين كريل وانجيلا ٠٠ فكان يسند في تعنيفها أحيانا ، وكانت ترد عليه العنف بأشد منه ، بل كانت تنتقم منه أحيانا بوسائل صبيانية ثقيلة ، كأن تضع الخنافس في فراشه أو ملابسه ، أو شيئا مرا في شرابه ٠٠ وكانت آخر دعابة ثقيلة أن وضعت عشر خنافس في فراشه ، وكان هو يشمئز من هذه الحشرة أشد الاشمئزاز ٠٠ وقد ثار بطبيعة الحال وأقسم أن يلحقها بمدرسة داخلية ٠٠ وثارت هي ، بدورها ، على هذا القرار ٠٠ ولكنني تعاونت مع أختها على اقناعها ، وهكذا تقرر أن تلتحق بمدرسة هولتون ٠٠ وهي مدرسة جميلة تقع في الشاطئ الجنوبي ٠٠ ولكن انجيلا ، مع هذا ، ظلت ساخطة ، وكذلك شعرت كارولين بالحزن لحرمانها من رعاية أختها ٠٠ ومما زاد الامر سوءا تلك الحالة التي طرأت على العلاقة الزوجية بين مستر ومسز كريل

ـ أتقصدين ظهور الزا جرير على مسرح حياتهما !

ـ نعم

ـ ما رأيك فيها

ـ كانت فتاة جريئة وقحة ليس لها مبادئ سامية

ـ لقد كانت صغيرة ... طائشة ؟

ـ لا .. كانت في السن التى تجعلهـــا تفهم وتدرك ما يضر وما ينفع ، اننى لا ألتمس لها أى عذر

ـ ولكنه الحب يا مس ويليامز

ـ الحب ؟ هل يمكن للانسان أن يعتذر عن سوء سلوكه وشـذوذ تصرفاته بالحب ؟ وهل يليق بفتاة أن تحب رجـــلا متزوجا .. وأن تقبل الحياة معه فى بيت الزوجية ؟ وأن تتحدى زوجته علنا بقولها انها ستأخذ منها زوجها ؟ ان هذا ليس حبا .. وانما سوء تربية ..

ـ لا شك أن موت أمياس كريل كان صدمة رهيبة لها !

ـ نعم .. بكل تأكيد .. ولكنها هي المسئولة عن موته .. اننى ألتمس العذر كل العذر لمسز كريل ، فأنا نفسى ، كنت أشعر أحيانا بالرغبة في قتل المستر كريل وحبيبته الوقحة .. اننى لم أر فى حياتى رجلا يتمادى فى تحديه لمشاعر زوجته المحبة له ، الى هـــذا الحد .. ان الموت هو أقل جزاء لمثل هذا الرجل .. وقد نال أمياس جزاءه العادل

ـ كأنك تشعرين بقدسية العلاقة الزوجية ؟!

فنظرت اليه برهة ، ثم قالت بقوة :

ـ نعم .. ليس فى الحياة ما هو أقدس من الرابطة الزوجية .. ان الاستهانة بها جريمة لا تغتفر لاسيما اذا كانت الزوجة متفانيــة ـ مثل كارولين ـ فى حب زوجها .. وقد استهان كريل بقدســية الرابطة الزوجية الى حد لم يسبق له مثيل ..

ـ أنا معك فى هذا .. ولكنه كان فنانا موهوبا ..

نعم .. نعم .. هذا هو العذر الوحيـــد الذى كان أصـــدقاؤه يحاولون به تبرير أعماله .. ولكننى شخصيا أعتقد أن الفن الاصيل يسمو بالفنان الى مراتب السمو والكمال والخلق الكريم ..

وبعد برهة من الصمت ، قال بوارو فجأة :

ـ لقد كنت مع مسز كريل عندما اكتشفت موت زوجها !

ـ نعم .. لقد غادرت معها القصر بعد طعام الغداء .. كانت هى فى طريقها الى زوجها لترى اذا كان فى حاجـة الى شىء ، وكنت أنا فى طريقى الى الشاطىء لابحث عن صديرية صوف لانجيلا التى كانت

متعودة على اهمال بعض ملابسها الخارجية فى كل مكان ٠٠وافترقنا عند باب حديقة البحر ٠٠ ولكنى ما أن سرت بضع خطوات حتى سمعت صيحة مسز كريل ، فعدت اليها مسرعة ، حيث رأيت المستر كريل راقدا على المقعد المسنطيل بجانب حامل الرسم ميتا ٠٠ميتا منذ ساعة على الاقل

ـ هل كانت شديدة الاضطراب عند اكتشافها لموت زوجها ؟

ـ ماذا تعنى بهذا السؤال ؟

ـ اننى أريد أن أعرف شعورك الخاص عن هذا الموقف

ـ آه ٠٠ فهمت ٠٠ أعتقد أنها كانت فى حالة ذهول ٠٠ ولكنها طلبت منى أن أسرع لاستدعاء طبيب ٠٠ فنحن لم نكن طبعا ، واثقين تماما من موته ٠٠ أو ليس لنا الحق فى هذه الثقة ٠٠

ـ وهل ذهبت واستدعيت الطبيب تليفونيا ؟!

ـ لا ٠٠ وانما التقيت فى الممر بالمستر ميرديث بليك ، فكلفته بالقيام بهذه المهمة ، ثم أسرعت عائدة الى مسز كريل ٠٠ فقد خشيت أن تسقط مغشيا عليها ٠٠

ـ وهل وجدتها فى هذه الحالة فعلا ؟!

ـ لا ٠٠ كانت ثابتة ٠٠ هادئة تقريبا ٠٠ أثبت وأهدأ بكثير من الزا جرير التى كانت ، حين بلغها النبأ ، فى حالة عصبية رهيبة حتى كادت أن تقتل كارولين لو أتيحت لها الفرصة

ـ هل معنى هذا أنها أدركت فورا أن كارولين هى قاتلة زوجها ؟

ففكرت مس ويليامز برهة ثم قالت :

ـ لا أظن أنها كانت واثقة تماما أن كارولين سممت زوجها ، ولكنها ارتابت فى هذا فورا ، وكانت تصرخ فىعصبية رهيبة قائلة: « كل هذا بسبب تصرفاتك يا كارولين ، لقد قتلته ، والذنب كله عليك » ٠ ولكنها لم تقل بصريح العبارة : « لقد سممته »

ـ وماذا كان شعور مسز كريل ؟

ـ الواقع اننى لا أستطيع أن أحدد شعورها تماما فى تلك اللحظات، هل كان الفزع الذى سيطر عليها أم الحزن أم الندم

ـ هل بدا عليها شىء من هذا ؟

ـ لا أدرى تماما ، أنها كانت أقرب الى الذهول منها الى أى شىء آخر

ـ حسنا .. وماذا كان رأيها في مقتل زوجها ؟
ـ كانت تعتقد ، كما ذكرت باصرار في المحاكمة ، أنه انتحر
ـ هل ذكرت لك هذا حين تحدثت معك على انفراد ؟
ـ نعم .. حاولت أن تقنعني بأنه انتحر ..
ـ وماذا كان رأيك أنت ؟!
ـ هل من المهم أن تعرف رأيي يا مسيو بوارو ؟
ـ نعم اذا سمحت ..
ـ لقد حاولت أن أوافقها على هذا الرأى ..
ـ معنى هذا أنك لم تكوني موافقة مطلقا ..
ـ نعم .. لم أكن معتقدة أنه مات منتحرا .. ولكني ، في الوقت نفسه ، كنت أثناء المحاكمة ، في جانب مسز كريل ضد الاتهام ..
ـ كنت تتمنين أن يحكم ببراءتها ؟
ـ نعم .. من صميم قلبي
ـ كأنك مقدرة شعور ابنتها في محاولتها البحث عن الحقيقة ؟
ـ نعم كل التقدير
ـ ألديك ـ اذن ـ مانع في كتابة ذكرياتك عن المأســاة في دقة وتفصيل بقدر الامكان !
ـ وهل ستقرأ كارلا هذا التقرير ..
ـ نعم بالتأكيد
ـ حسنا .. انني لا أمانع .. ولكن..هل هي مصرة كل الاصرار على أن تصل الى حقيقة موقف أمها من هذه الجريمة ، مهما تكن مرارة هذه الحقيقة ؟
ـ نعم .. بلا شك .!
ـ اني متفقة معك في هذا .. فخير للانسان أن يستريح الى معرفة الحقيقة بدلا من محاولة خداع نفسه بالاوهام .. وأعتقد أن كارلا حين تعرف الحقيقة كلها سوف تنسى الموضوع كله على مر الأيام ..
ـ ولكنها في الوقت نفسه تأمل أن تثبت الحقيقة براءة أمها ..
ـ يا لها من مسكينة . ان الحقيقة ستثبت عكس ما ترجو وتأمل
ـ أواثقة أنت من ادانة مسز كريل الى هذا الحد ؟!
ـ نعم .. بالتأكيد

ـ وما رأيك اذا علمت أن مسز كريل تركت لابنتهاخطابا أقسمت فيه ، وهى على فراش الموت أنها بريئة ؟

ـ لقد أخطأت جدا فى هذا القسم ان مسز كريل دائما شجاعة ، وصادقة ، وميالة للخير ٠٠ وكان الاجدر بها أن تعترف بحقيقةجرمها لابنتها ٠٠ فليس ينبغى أن يكون للعواطف مجال فى ساعة الموت٠٠

ـ اذن فأنت واثقة تماما أنها كاذبة فى هذا القسم على براءتها ؟!

ـ كل الثقة ٠٠

ـ ومع ذلك تقولين انك وقفت بجانبها ضد الاتهـــام وانك كنت تحبينها ؟!

ـ نعم ٠٠ كنت أحبها ، ولكن هذا لا يمنع من القول بأنى واثقة تماما من ادانة مسز كريل لانى رأيت بعينى ما يثبت الجريمة عليها، ولكننى لم أذكر هذا أثناء المحاكمة ، لان أحدا لم يسألنى فى هـــذه النقطة



الفصل السابع

انجيلا وارين

كان مسكن انجيـــلا وراين يشرف على حـــديقة ريجنت بارك الفـاخرة ، وكان الهواء فى ذلك اليوم من ايام الربيع ينساب من النافذة الى جوانب المسكن ، رقيقا ناعما منعشا يثير فى النفس الشعور بجو الريف ، لولا ذلك الضجيج الرهيب لحـركة المرور بالشارع

واستدار بوارو عن النافذة حين سمع وقع اقدام انجيلا فى الغرفة ولم تكن أول مرة يرى فيهـا انجيلا ، فقد سبق أن استمع الى محاضرة لها فى قاعة الجمعية الجغرافية ، وكان قد أعجب بها اعجابا لا حد له . كانت بارعة فى الالقاء ، رائعة فى التعبير ، ثابتة الاعصاب، غزيرة العلم ، لا تتردد ، ولا تكرر نفسها ، ولا تعجز عن الاجـــابة الصحيحة عن كل سؤال خاص بالموضوع بعد انتهاء المحاضرة

ولم ير ، اثنـاء المحاضرة ، الجانب المشوه من وجهها . أما الآن وهو يراها عن كثب ، فقد لاحظ اثر الجرح العميق الممتـد من طرف عينيها اليسرى الى نهاية خدها . ولم تـكن العين مغلقـة ، وانما كانت ، فى الظاهر ، تبدو سليمة رغم فقدانها قوة البصر تماما وقـــد خطر لبوارو ، وهو يرى انجيلا بقامتها الطويلة ، ووجهها الباسم ، وجبينها العريض المشع بالعلم والذكاء ، أنها الشخصية الوحيدة التى نجحت تماما فى الحياة من بين الشخصيات الخمسة التى شهدت المأساة . لقد نجح فيليب بليك حقا فى جمع المـال . ولكن جمع المال لذاته لا يعتبر نجاحا فى الحياة ، أما ميرديث فقــد ظل ، كما كان ، جامدا ، لا يتطور مع الزمن ، وكأنما كان يعيش فى العصور المـاضية . وبدات الزا جرير حياتها بالجمـال والشباب

والمال والحب ، وكان كل شيء يبشر بأنها ستكون من اسعد الناس في الحياة ، فاذا بها ، عقب المأساة ، تغدو من أكثر الناس شقاء .
نعم ، فليس هناك من هو أشقى من الانسان الميت الحي !

أما مس ويليامز ، فقد عاشت ، كمعظم الذين يحملون العلم والمعرفة الى عقول التلاميذ ، تعطي في الحياة ولا تأخذ . وقد أخذت منها الحياة كل شيء ، ولم تعطها شيئا

اما انجيلا ، فقد عرفت ، رغم تشوه جانب وجهها ، كيف تظفر بذكائها وشجاعتها وحبها للمغامرة من الحياة بكل شيء : بالمال ، والشهرة ، والمجد ، والسعادة

ولم يكن الثمن غير هذا الاثر المشوه لجانب وجهها

ولكنها كما بدت لبوارو في تلك اللحظة، لم تكن تشعر بهذا التشويه لطول ما الفته

وادرك بوارو ايضا ان انجيلا ليست من النوع الذي يحتاج معه الانسان الى اللف والدوران في الحديث ليصل الى غرضه ، ومن ثم تحدث معها بصراحة عن زيارة كارلا لامرشانت له . وعندئذ اضاء وجه انجيلا بابتسامة عذبة ، وهي تقول :

ـ آه ، كارلا الصغيرة ؟ اهي هنا ؟ أود ان اراها . فما اشد شوقي اليها !

ـ الم يكن بينكما اتصال بريدي خلال هذه الاعوام الطوال ؟

ـ اتصال بسيط جدا . فقد كنت ، بعد المأساة ، في مدرسة داخلية خارج البلاد ، وكانت هي في كندا ، ولم نتبادل الا بعض الهدايا البسيطة في اعياد رأس السنة ، وكنت أعتقد انها ستبقى دائما في كندا ٠ فاني لا أجد أي سبب يدعوها الى العودة هنا

فقال بوارو :

ـ نعم . فقد كانت في جو جديد ، وفي بيئة جديدة ، وتحمل اسما جديدا . ولكن يبدو ان المسألة بالنسبة لها لم تكن في مثل هذه السهولة !

ثم راح يحدثها عن خطبة كارلا للشاب الذي يبادلها الحب ، وعن رغبتها في الوصول الى الحقيقة عن مأساة والديها ، وعن ايمانها العميق ببراءة أمها . وعندئذ قالت انجيلا بحماس :

— انني اتمنى لها من صميم قلبي أن تنجح في هـذه المهمة . ويسرني أن اقدم في هذا السبيل كل مساعدة ممكنة

— اذن فانت تعتقدين أن هناك احتمالا في اثبات براءة مستر كريل

— انني شخصيا أومن تماما أن كارولين لم ترتكب هذه الجريمة هذا هو رايي منذ اللحظة الاولى

فغمغم بوارو قائلا :

— انك تدهشينني بهذا الاعتراف يامس وارين ، فان الجميع يعتقدون غير هذا !

— ان لهم العذر ، فقد كانت الادلة كلها ضد اختى ، ولكنى أعرف عن يقين أن كارولين لم يكن في مقدورها ان ترتكب اية جريمة قتل

— هل يمكن لاى أنسان ، أن يثق ثقة تامة بأن اى انسان آخر منزه عن ارتكاب جريمة قتل ، مهما تكن الظروف والاحوال

— لا يمكن طبعا في بعض الحالات ، وأنا اتفق معك على ان الحيوان الآدمي كفيل بارتكاب اية جريمة في بعض الظروف الخاصة . اما في حالة كارولين ، فان لدى من الاسباب ما يجعلني اومن بانها آخر من يرتكب جريمة قتل . وانا اقدر هذه الاسباب أكثر من اى شخص آخر

ثم لمست اثر الجرح العميق على خدها واردفت قائلة :

— اترى هذا ؟ لعلك قد عرفت كيف حدث ؟

ولما أومأ بوارو براسه ، اردفت قائلة :

— ان هذا من صنع كارولين ، وهو أيضا السبب الذى يجعلني اومن بانها لا يمكن ان ترتكب جريمة قتل

— أن بعض الناس يرون انه ، في الواقع ، الدليل الذى يثبت استعدادها لارتكاب مثل هذه الجريمة

— ولكن الحقيقة هي العكس ، أو ينبغي أن تكون العكس . حقا ان ممثل الاتهام اتخذ من هذه الاصابة دليلا على تهور كارولين وعنف طباعها ، وان الناس يظنون ان الفتاة التى كادت تقتل اختها الطفلة بدافع الغيرة ، لا تتردد في قتل زوجها لهذا الدافع نفسه ولكن لو حاول هؤلاء ان يحسنوا التفكير لعرفوا أن العكس هو الصحيح

وغمغم بوارو قائلا :

ـ هذا فضلا عن ان الانسان المتهور السريع الغضب ، لا يلجأ الى السم فى ارتكاب جريمته . ان القتل بالسم يحتاج الى تفكير وتدبير وثبات أعصاب . اما المتهور العنيف فانه يحاول القتل بأى شيء يقع تحت يده

فلوحت انجيلا بيدها ، وقالت :

ـ ليس هذا ما اعنيه وان كان لا يعدو الواقع . وانما اعنى شيئا آخر . وسأحاول أن أوضحه لك . لنفرض انك انسان عادى ولكنك شديد الغيرة كما هو الحال مع الكثيرين ، ولنفرض انك فى سن الطيش والمراهقة والعجز عن السيطرة التامة على المشاعر والاعصاب ، وأوشكت ان ترتكب جريمة قتل اخ صغير او اخت .اذن فكر فى الصدمة الرهيبة ، وفى الفزع ، وفى الندم الذى يملأ نفسك بعد ذلك . ان مثل هذه المشاعر ، الفزع والندم ، لا يمكن ان تزول من نفس فتاة مرهفة الاحساس مثل كارولين ، مهما مرت الايام ، وانا لا أزعم انى كنت متأكدة من مشاعرها هذه فى تلك الايام، ولكنى وأنا أذكر معاملتها لى بعد اصابتى ، أدرك الآن حقيقة الفزع والندم والالم الذى كان يستبد بها . ان هذا الحادث ، حادث أصابتى على يديها ظل يؤرق نومها ، ويثقل عليها ، ويلون تصرفاتها بلون خاص . انه يفسر موقفها بعد ذلك منى ، وشدة حبها لى ، وفرط عطفها على ، ومبلغ تعلقها بى . كانت تريد أن تعوضنى عن اصابتى بكل شيء . ولو بحياتها اذا استطاعت ، وكانت معظم مشاجراتها مع زوجها بسببى ، وكنت اشعر بالغيرة منه ، وأدبر له « مقالب » صبيانية سخيفة ، وأذكر انى اختلست يوما مادةتجذب رائحتها القطط ، ووضعتها فى كأس شرابه ، وكذلك وضعت مرة أخرى بعض الحشرات المنفرة فى فراشه .. ومع ذلك كانت كارولين تقف دائما بجانبى

وتوقفت مس وارين برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ـ ولم يكن هذا من صالحى فى شيء بطبيعة الحال ، فقد كان هذا الاسراف فى تدليلى كفيلا بأن يفسد اخلاقى ، ولكن هذا كله خارج عن موضوعنا ، فنحن نتحدث الآن عن كارولين ، وأزيد ان اقول ان النتيجة التى ترتبت على تهورها فى اصابتى ، هى شعور دائم فى اعماق نفسها يجعلها تحذر من ارتكاب عمل آخر مماثل . كانت

كارولين دائما تراقب نفسها بنفسها . كانت فى فزع مستمر من أن يتكرر هذا الحادث بصورة او بأخرى . وقد لجأت فى مراقبة نفسها الى وسائلها الخاصة ، ومن هذه الوسائل استعمال العبارات العنيفة القاسية فى اثناء غضبها من شيء . فكلنا نعرف أن مثل هذا الانطلاق فى الالفاظ القاسية ، هو عادة صمام الامن الذى يهدىء من ثورة الغضب المشتعل ، ويحول الرغبة فى التحطيم الى مجرد كلمات لا تضر ولا تنفع . لقد ادركت هى ، بالتجربة ، جدوى هذه الوسيلة . ادركت أن العبارات العنيفة التى تطلقها أثناء الغضب . هى صمام الامن لطبيعتها المندفعةالمتهورة ، وهذا هو السبب الذى كان يجعلها تقول لزوجها ساعة الغضب مثل هذه العبارات : « سأمزقك اربا ، واضع لحمك فى زيت مغلى » أو « اذا تماديت فى اغضابى فسوف أقتلك حتما » وكانت سريعة الغضب كثيرة الشجار وكانت ترى فى شجارها تخفيفا عن طبيعتها العنيفة المندفعة ولهذا كثيرا ما كانت تقع بينها وبين امياس مشادات عجيبة . . . واحيانا طريفة

ــ نعم ؛ قيل لى انهما كانا يتشاجران كالقطة والكلب

ــ تماما ، ولكن الشيء الذى لم يفهمه الناس عنهما هو انهما كانا يستمتعان بهذه المشاجرات . نعم ، اننى اذكر هذه الحقيقة كان كل منهما يوجه اثناء الغضب الى الآخر اعنف واقسى العبارات ، ولكن هذا كله لم يكن ليؤثر على الشعور الحقيقى الذى يكنه كل منهما لصاحبه . بعض الازواج يحبون الحياة الرتيبة المسالمة ، ولكن امياس ، كفنان ، لم يكن يحب هذه الحياة الرتيبة ؛ كان يثيرها ضجة صاخبة حامية اذا فقد مثلا زرار قميصه . . . وكانت هى تكيل له الصاع صاعين ، ثم لا يلبثان أن يهدآ ويتصافيا كأنما أزاح كل منهما عن كاهله عبئا ثقيلا أو أفرغ عن نفسه شيئا محبوسا

ولوحت انجيلا بيدها فى ضيق وأردفت قائلة :

ــ لو انهم لم يبعدونى عن جو المحاكمة ، لذكرت هذه الحقيقة أمام القضاة

ثم هزت كتفيها وعادت تقول :

ــ ولكننى اعتقد انهم ما كانوا ليصدقوننى . كما انه لم يكن فى مقدورى يومذاك أن أوضح للمسئولين حقيقة الموقف بين الزوجين

كما افهمه الآن ... هل تفهم ما اعنى ؟

ـ تمام الفهم ، ولـكن ماذا كان شـعورك الخاص فى ذلك الحين يا مس وارين ؟

فتنهدت انجيلا وقالت :

ـ اعتقد أن شعورى يومذاك كان مزيجا من الحيرة والعجـز ، كنت فى شبه حلم مزعج عجيب ، وانا ارى كارولين مقبوضا عليها بعد ثلاثة أيام من الحادث ، واذكر انى اعلنتها ثورة صبيانية جامحة على الجميع ، ولكن كارولين نصحتنى بالتزام السكينة والهدوء ، وطلبت من المسئولين الا يزجوا بى فى هذا الامر ، فذهبت الى أسرة صديقة فى الريف ، ولما تقرر عدم الحاجة الى سماع شهادتى ، تمت الترتيبات لترحيلى الى مدرسة داخلية فى الخارج : فى ميونيخ . وقد رفضت الذهاب فى أول الامر ، ولكن الجميع اقنعونى أن هذه هى ارادة كارولين ، وان الواجب على ، فى مثل هذه الظروف ، أن اعاونها بالطاعة ، فذهبت . وبعد ثلاثة أشهر علمت بمنطوق الحكم الذى صدر عليها . ولما حاولت زيارتها ، رفضت فى اصرار ... ولست ادرى لماذا

ـ لانها أرادت أن تجنبك الآلام النفسية ، حين ترين اختـك الحبيبة فى ملابس السجن

ـ ربما

ونهضت انجيلا وارين واقفة ، ثم استطردت تقول :

ـ بعد صدور الحكم باعدامها ، أى قبل تخفيفه الى السجن المؤبد ارسلت اختى الى خطابا خاصا لم أطلع عليه احدا ، ولـكنى اعتقد انه لا مانع من أن اطلعك عليه الآن . فانك بعد أن تقرأه ، ستعـرف اى نوع من النسـاء كانت كارولين ، ويمكنك ، اذا اردت ، أن تأخذه لتطلع عليه كارلا

وغادرت الغرفة ، ثم لم تلبث أن عادت ومعها خطاب وصـورة شمسية . ثم قالت :

ـ هذه صورتها ، أتراها صورة قاتلة ؟

ونظر بوارو الى الصورة بامعان ، الى الوجه البيضاوى والملامح الرقيقـة ، والعينين الهـادئتين . انه وجه امرأة غير واثقـة من نفسها . امرأة قوية العـاطفة ، ذات جمال خفى ، ولـكن تنقصها قوة الشخصيـة والحيوية اللتين تتمتع بهما ابنتها . تنقصها هذه

الروح المرحة المشغوفة بالحياة ومباهجها التى ورثتها كارلا عن ابيها

وقالت انجيلا :

ـ أما وقد رايت صورتها ، فاقرأ خطابها

وبسط بوارو الخطاب برفق وراح يقرأ :

« حبيبتى انجيلا الصغيرة

« سوف تسمعين اخبارا سيئة ستحزنك ، ولكننى اريد ان أؤكد لك ان كل شيء معى كما ينبغى ، اننى لم اكذب عليك يوما ، وانا الآن لست اكذب عليك اذا قلت لك اننى فى الواقع سعيدة ، واننى اشعر باحساس عميق بالسكينة والسلام والعدالة ، لم أشعر به من قبل . تاكدى يا حبيبتى اننى لست حزينة ، ولا بائسة ، ولانادمة على شيء ، فلا تحاولى أن تعودى بذاكرتك الى الماضى ، فتشعرى بالحزن والاسى من اجلى . انظرى الى الامام ، اهتمى بحياتك واطلبى النجاح ، وأنا أعرف انك قادرة على النجاح ، وعلى الانتصار اما أنا ، فسوف اعود الى امياس ، ولست أشك فى اننا سنبقى معا ، وما كان فى مقدورى ان أستمر فى هذه الحياة الدنيا بدونه . اننى أرجو منك شيئا واحدا ، وهو أن تكونى سعيدة . وقد قلت لك اننى الآن سعيدة ، فان على الانسان أن يدفع الثمن ، وان يشعر فى النهاية بالسكينة والسلام »

وبعد ان قرأ بوارو الخطاب مرتين اعاده الى انجيلا قائلا :

ـ انه خطاب جميل رائع يا آنسة . خطاب مدهش عجيب

ـ لقد كانت كارولين حقا شخصية عجيبة مدهشة

ـ وهل أدركت أن هذا الخطاب يدل على براءتها ؟

ـ نعم . بلا شك

ـ ولكنها لم تذكر هذا بصراحة

ـ لان كارولين لم يخطر ببالها يوما انها مذنبة

ـ ربما . ربما . ولكن يمكن من جهة اخرى أن يدل هذا الخطاب على انها اذنبت ، ودفعت الثمن . واصبحت فى حالةنفسية هادئة

فقالت انجيلا :

ـ لالا . اننى واثقة تماما من براءتها

ـ الله يعلم اننى اتمنى ان تكون ثقتك فى محلها ، ولكن اذا لم

تكن اختك هي المذنبة ، فماذا حدث حقا ؟

فأومات براسها وقالت :

ــ هذه هي المشكلة ، واعتقد أن التعليل الوحيد هو أن امياس مات منتحرا

ــ ولكن ، هل تعتقدين ــ في قرارة نفسك ــ ان اميـــاس من الاشخاص الذين يحلون مشاكلهم بالانتحار ؟

ــ انه في رأيي آخر من يفعل هذا ، ولكن لكل قاعدة شواذ ، فلعل الشخص الذي يبدو للجميع أنه محصن ضد الانتحار ، هو أول من ينتحر في ساعة يأس . اننا في الواقع لانعرف عن حقائق النفس البشرية الا القشور

ــ اليس هناك اي احتمال آخر في رأيك ؟

فصمتت انجيلا برهة ، ثم قالت :

ــ انني افهم ماذا تعني ، ولكنني في الواقع لم افكر من قبل في اي احتمال آخر . انك تعني ان شـــخصا آخر قتل اميـاس ، قتله عن عمد وسبق اصرار وبعد تدبير محكم

ــ اليس هذا محتملا ؟

ــ ان الاحتمال في هذه الحالة يكاد يتساوى مع احتمال انتحاره

ــ اذن ، لنبحث هذا الاحتمال ، ونحاول ان نعرف اي الاشخاص الخمسة هو اقرب الجميع الى هذا الاحتمال

فصمتت انجيلا برهة اخرى ، ثم قالت :

ــ حسنا . دعني افكر . انني شخصيا لم اقتـله . ولم تقتله الزا على وجه اليقين ، فقد كادت تفقد عقلها حين علمت بموته ، فمن يتبقى ؟ ميرديث بليك ٠٠٠! لقد كانت دائما كالقطة الأليفة الهادئة ، حقا انه كان يحب كارولين في صمت ، وأن هذا الحب يصلح أن يكون باعثا للقتل ، ولكن ، على هذا الفرض ، لماذا يقتل امياس وهو يعلم أنه سيطلق كارولين وسـيتزوج الزا ؟ هـذا عدا أن ميرديث ليس بالرجل الذي يلجأ الى القتل لتحقيق أهدافه . فمن يتبقى بعد ذلك ؟

ــ فيليب بليك ، ومس ويليامز

فصمتت انجيلا برهة ، ثم قالت :

ــ كانت مس ويليامز شديدة الحب لاختي ، ولم تـكن راضية يوما عن تصرفات امياس ، ولكن هل يكفي هذا الحب للزوجة ، وهذا

النفور من الزوج ليكونا سببا يدفع سيدة ذات مبادىء واخلاق كريمة الى ارتكاب جريمة قتل ؟!

ــ انا شخصيا لا اعتقد هذا

ــ لم يبق اذن غير فيليب بليك . وما دمنا نتحدث عن الاحتمالات فانا ارى أن احتمال ارتكابه للجريمة هو اقرب هذه الاحتمالات كلها الى الصواب !

ــ لقد أثرت فضولى جــــدا يا مس وارين . هل يمكن أن أعرف لماذا ؟!

ــ اننى لا اعرف شيئا محددا عنه ، ولـكنى أعتقد مما اذكره ، انه شخص محدود الخيال ، ضيق الافق . ومثل هذا الشخص قد يلجأ الى اقسى الوسائل لتحقيق أغراضه

ــ وهل كانت لفيليب أغراض خاصة ؟

ــ اننى لا ادرى على وجه التحديد ، ولكن الانسان احيانا يذكر أشياء تعيد الى ذاكرته فجأة أشــــياء مماثلة . فقد حدث وأنا أقيم فى فندق على ساحل الريفييرا انى رأيت سيدة تخرج فى منتصف الليل من غرفة شاب اعزب لا يمت اليها بصلة قرابة . وقد فوجئت هى برؤيتى لها . وكانت على وجهها امارات عجيبة . امارات المراة التى ضبطت وهى تغادر خلسة غرفة عشيقها . وقد ذكرنى هــــذا الموقف بموقف آخر رأيته فى صغرى دون أن أفهم يومذاك معناه ، ولكنى فهمت هذا المعنى أخيرا

ــ أى موقف تعنين ؟

فقالت انجيلا :

ــ موقف أختى كارولين وهى تخرج فى سكون الليل من غرفة فيليب بليك أثناء اقامتــه فى قصر آلدربرى . اننى لم أفهم يومذاك معنى خروجها من غرفته فى مثل هذه الساعة ، ولكننى فهمته بعد أن رأيت نفس الامارات التى ارتسمت على وجه سيدة الفنـــدق فى ساحل الريفييرا ، امارات وجه المراة الخارجة من غرفة عشيقها

ــ ولكن هذا عجيب يا مس وارين ، لقد فهمت من حديث فيليب انه كان يكره اختك اشد الكراهية

ــ نعم ، أعرف ، ولـكن هذا ما حدث !

الفصل الثامن

قصة العدو العاشق

كتب فيليب بليك ما يلي عن مأساة أمياس كريل وزوجته :

كانت صداقتى لامياس كريل ترجع الى عهد الطفولة .. فقد كان بيت أسرتى قريبا من بيت أسرته فى الريف .. وكان أمياس أكبر سنا منى بعامين .. وكثيرا ما لعبنا معا ، وقضينا الاجازات المدرسية معا رغم اننا لم نكن في مدرسة واحدة . وأستطيع أن أقول وأنا جد مطمئن الى هذا القول : « ان ما أعرفه عن أخلاق كريل وطباعه يجعلنى أستبعد تماما كل ادعاء بأنه مات منتحرا » لقد كان أشد الناس حبا للحياة ، واستمتاعا بها ، واقبالا عليها ..كان موفور الشباب والجمال والقوة ، وكان فى طريق المجد والشهرة والثراء .. فلماذا ينتحر ؟! أينتحر لانه شعر بتأنيب الضمير بسبب معاملته لزوجته ؟! ان هذا الأمر يثير السخرية والضحك ..

أما زوجته كارولين ، فقد كنت اعرفها منذ صباها..منذ ان كانت تأتى للاقامة مع أقاربها من أسرة كريل .وكانت يومذاك ، فتاة مندفعة ، متهورة ، لا تتحكم فى أعصابها ، ورغم جمالها وجاذبيتها ، فقد كانت من الفتيات اللائى يصعب على الانسان أن يعيش سعيدا بالزواج من احداهن ..

وقد ألقت شباكها فورا حول أمياس ، ولم يكن هو فى أول الامر ميالا اليها ، ولكنه لم يلبث ، بعد ان ألفها ، وخرج معها بمفرده كثيرا ، أن تعلق بها ، فتمت خطبتهما . وشعر أصدقاء أمياس المخلصون بالقلق لهذا الزواج .. لانه كان من الواضح أن كارولين ليست بالزوجة الصالحة لامياس ..

وكان هـذا هو السبب فى وجود شىء من النفور بين كارولين

واصدقاء أمياس المخلصين في السنوات الاولى من الزواج ‥ ولم يكن أمياس بالانسان الذى يتخلى عن أصدقائه ، بسهولة ، لأى سبب ‥ وهكذا لم تلبث العلاقة الوطيدة والصداقة الاكيدة أن عادت كما كانت بيني وبينه ‥ وبدأت أتردد على قصر آلدربرى ، وقد جعلني هو اشبينا ـ والدا روحيا ـ لابنته كارلا ‥ ولعل هذا هو الدليل الاكيد على مدى صداقتنا الرائعة ‥

ونعود الى المأساة ، فأقول : انني دعيت للاقامة ضيفا في قصر صديقي كريل بالدربرى قبل وقوع الحادث بخمسة أيام « هكذا جاء في مفكرتي » أى في اليوم الثالث عشر من شهر سبتمبر • وقد شعرت منذ اللحظة الاولى بتوتر الجو بين أمياس وكارولين ‥ فقد كانت مس الزا جرير تقيم أيضا في القصر ‥ وكان أمياس مشغولا برسم صورة زيتية لها ‥

وكانت تلك أول مرة أرى فيها مس جرير بعد أن سمعت عنها من أمياس ‥ وقد تبينت من الوهلة الاولى أن صديقي غارق الى أذنيه في حب الفتاة ، وانها تكاد تلتهمه بعينيها من فرط الحب كلما رأته ‥ وكان الواضح أنها هي التي أوقعت أمياس في شراكها برغم فارق السن بينهما ، وبرغم ثرائها الواسع

أما كارولين فكانت غيورا بطبيعة الحال كالمعتاد ، وكانت غيرتها الشديدة هي السبب الذى يدفع أمياس الى القاء نفسه بين الحين والآخر في أحضان هذه المرأة أو تلك

والمهم أن الجو كان شديد التوتر • وأذكر أن أمياس قال لى حين رآني : « حمدا لله أن جئت يا صديقي ، ان الحياة بين أربع نساء تكفى لان ترسل بالانسان الى مستشفى المجاذيب »

وكان يقصد زوجته ، والزا جرير ، والمربية مس ويليامز، وانجيلا وارين ‥

والواقع أن الجو كان مضطربا حقا ‥ فقد كانت كارولين توشك على الانفجار من فرط الغيرة ، وكانت في الوقت نفسه تعامل الزا بطريقة مهذبة ، ولكنها قاطعة كالسيف ‥ أما الزا فكانت أكثر صراحة وخشونة في معاملتها لكارولين ‥ كانت واثقة من نفسها ومن الحب المتبادل بينها وبين كريل ‥ وكانت تعرف أنها دخيلة ، وأنها مخطئة ببقائها في القصر ، وأنها ستحطم حياة زوجية ، ولكنها

لم تكن مهتمة بشيء من هذا ·· لم يكن لديها من التربية العالية ، أو الحسب الرفيع ، أو المبادىء المثالية ما يوقفها عند حدها··كان همها كله أن تسعد ولو على حساب الآخرين ·· وكان أمياس يقضي معهـا معظم أوقاته ، أثناء رسم اللوحة ، وفي فترات الفراغ ·· أما علاقته بانجيلا وارين فكانت تضـطرب بين الصـفاء ، والعبث الصبياني والمداعبات ، ثم المشاجرات وتبادل الالفاظ الحادة ·· ثم عودة الصفاء وهكذا ، حتى قرر في النهاية الحاقها بمدرسة داخلية ·· وأما المس ويليامز ، فكان يقول لي عنها : « هذهالمرأة الحيزبون تكرهني كما تكره الموت ·· انها تجلس دائما مزمومة الشـفتين ، تنظر الي باحتقار شديد ، كأني حشرة خبيثة ، هذه اللعينة عـدوة الرجال » ··· ثم أردف قائلا : « اللعنة على النساء جميعا ، اذا أراد الرجل أن ينعم بالسكينة والسلام ، فيجب أن يعيش بعيدا عنهن » ··· فقلت له : « ما كان ينبغي لك أن تتزوج ·· فأنت بطبيعتك آخر من يصـلح للحياة الزوجية ·· »

فقال ان الحديث في هذا الموضـوع جاء بعد أوانه ، وان كارولين سوف تغتبط بالخلاص منه · وكانت تلك أول مرة أدرك فيهـا أنه ينوي الانفصال عنها ، فقلت له :

«اذن فان علاقتك بهذه الفتاة الحسناء الزا جادةكل الجدهذهالمرة ؟»

فغمغم قائلا : « انها حسناء ! أليس كذلك ؟ انني أحيانا أتمنى لو أني لم أرها ·· »

فقلت له جادا : « اسمع يا صديقي ، ينبغي عليك أن تتحكم في عواطفك ، وأن تكف عن هذه العلاقات المستمرة بالنساء »

فنظر الي ضاحكا وقال :

« من السهل عليك أن تتحدث وتنصح ، ولكن ليس من السهل علي أن ابتعد عن النساء ، وحتى لو ابتعدت أنا ، فانهن لن يتركنني وشأني »

ثم هز كتفيه وقال :

« على كل حال سوف ينتهي كل شيء على خير ، وستكون الصورة من أروع أعمالي »

وظلت حالة التوتر قائمة حتى بلغت ذروتها في ظهر اليومالسابع

عشر من سبتمبر ٠٠ أى قبل المأساة بيوم ٠٠ كنا جميعا نتنـــاول طعام الغداء ، وكانت الزا توجه الحديث الضاحك العابث الى أمياس فقط ، وكأننا غير موجودين معها ، وكانت كارولين توجه اليناحديثها الناعم الملفوف الذى تبـــدو كلماته عادية ، ولـكنها تقطع كالسكين وهي تتحدث بطريقة غير مباشرة عن « استهتار » بعض الفتيات،وعن « الاصل الحقير » الذي يلون تصرفات صاحبه بالشر والسوء ٠٠

وانتقلنا بعد طعام الغداء الى قاعة الاستقبال ، وهناك أعربت عن اعجابى بتحفة جميلة من خشب الزان المحفور المصقول ، فقـــالت كارولين بهدوء :

« انها صناعة مثال نرويجي شاب،وقد أعجبت أنا وأمياس ببراعته • وأعتقد أننا سنزوره حين نقضى جانبا من فصل الصيف الآتى في النرويج »

وكان هدوء حديثها وما ينم عليه من ثقة تامة ببقائها مع أمياس ، أكثر مما تطيق الزا التى ما كانت لتقبل أن تهزم فى أية محادثة ، ومن ثم قالت بعد فترة صمت :

« يمكن أن تبدو هذه الغرفة أجمـــل بكثير لو أخليناها من بعض الاشياء السمجة التى لا معنى لها ٠٠ وأعتقد اننى حين أقيم هنـــا ، سأزيل منها كل السخافات والنفايات ، وسأضع على النوافذ أستارا في لون النحاس ، فاذا انعكست عليها أشعة شمس الاصيل ، بدت فى لون الذهب ٠٠ فما رأيك يا مستر فيليب بليك ؟ »

وقبل أن أجيب ، قالت كارولين بصـــوت ناعم ، ولكنه أحد من السيف :

« هل تنوين شراء هذا القصر يا الزا ؟ »

فقالت الزا : « ليس من الضرورى أن أشتريه لكى أقيم فيه »

فقالت كارولين بصوت لا أثر فيه للرقة هـــذه المرة : « اذن ماذا تعنين ؟ »

فضحكت الزا بوقاحة وقالت : « هل من الضرورى يا كارولين أن نتظاهر بالغباء ؟ أنت تعرفين تماما ما أعنى »

« واذا كنت لا أعرف ؟ »

« لا تكونى كالنعامة التى تخفى رأسها في الرمال ؟ أنت تعرفين

جيدا أننى أتبادل الحب مع أمياس ، وليس هذا قصرك ، وانما قصره. وبعد أن يتم زواجنا سأعيش فيه »

« يبدو أنك مجنونة يا الزا »

« لا يا عزيزتى ، اننى عاقلة جدا،ويحسن بك أن تعترفى بالواقع، وتحررى أمياس من قيد الزواج بك »

« اننى لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين .. »

وفى تلك اللحظة ، دخل أمياس الغرفة ، فقالت لها الزا :

« اذا كنت لا تصدقين ، فهذا هو امياس .. اسأليه .. »

فقالت كارولين لامياس :

« أمياس ، الزا تزعم أنك ستتزوج بها ، فهل هذا صحيح ؟ »

فاضطرب امياس المسكين ، وبدا كالسمكة فى الشبكة ، ثم التفت الى الزا وقال بعنف :

« ما معنى هـــذا بحق الشيطان ؟ الا تعرفين كيف تمســـكين لسانك ؟! »

فقالت له كارولين : « اذن فالامر صحيح ؟ »

فقال وهو يزداد اضطرابا : « اننى لا أريد أن أناقش هذا الموضوع الآن »

فقالت كارولين : « ولكننى أريد مناقشته فورا »

فتدخلت الزا فى الحديث ، قائلة : « أعتقد يا أمياس أن من حق كارولين أن تعرف الحقيقة »

فقالت كارولين بهدوء : « أحقا هذا يا أمياس »

ولما ازداد اضطراب أمياس وشعوره بحرج الموقف ، أردفت هى قائلة :

« أرجو منك أن تصارحنى ، فمن حقى أن أعرف »

فقال فى صوت الانسان الذى لا يجد مفرا من الاعتراف بالحقيقة:

« نعم ، ان ما تقوله الزا صحيح ، ولكنى لا أريد أن أناقش الأمر .... الآن »

ثم غادر الغرفة ، وغادرتها أنا وراءه ، لانى أبيت أن أبقى فى ذلك

الجو المضطرب مع المرأتين ، وفي الشرفة،سمعته يسب ويلعن بعنف ثم قال لى :

« لماذا لم تمسك هذه اللعينة لسانها وتكتم السر حتى أفرغ ، على الأقل ، من رسم اللوحة ؟ انها اللوحة يا فيليب هى التى تهمنى الآن ٠٠ انها أروع انتاج فنى ٠٠ اننى لن أسمح لامرأتين غيورتين أن تحرماني من اتمامها »

ثم هدأ فجأة ، وقال : « أن النساء عموما حمقاوات ، لا يفهمن شيئا » فقلت له باسما :

« ولكنك أنت الذى جلبت على نفسك هذا كله يا صديقى »

« اننى أعرف ٠٠ ولكن يجب أن تعترف أن أى انسان كفيل بالوقوع فى غرامها اذا سمحت له هذه الشيطان الحسناء ، بل ان على كارولين أيضا أن تلتمس لى العذر »

« ولكن ، لا تنس واجبك يا أمياس نحو ابنتك الطفلة »

فأمسك بذراعى وقال :

« انا أعرف أنك تريد لى الخير يا فيليب ، فأرجو أن تخفف من تأنيبك لى ، اننى أعرف كيف أسوى أمورى فى النهاية ، وثق أن كل شىء سينتهى على خير »

هكذا كان أمياس ٠٠ متفائلا دائما ٠٠ مبتهجا أبدا

ولا أذكر هل تبادلنا حديثا آخر أم لا ٠٠ ولكنى أذكر أن كارولين أقبلت الى الشرفة وهى أتم ما تكون هدوءا وثباتا ، وقالت لامياس بصوت عادى :

« هلم استعد للذهاب الى ميرديث ، لا تنس أنه دعانا لشرب الشاى فى بيته بعد ظهر اليوم »

فنظر اليها أمياس دهشا ثم قال متلعثما :

« نعم ٠٠ نعم ٠٠ لقد نسيت .. ولكننا سنذهب طبعا .. »

ولما غادر أمياس الشرفة لارتداء ملابس الخروج ، التقطت كارولين بعض الأزهار من آنية الزهور بالشرفة ، واستدارت الى ، وراحت تتحدث ٠٠ وتحدثت طويلا عن الجو ٠٠ وعن احتمال الذهاب معا الى صيد السمك اذا ظل الجو صافيا هكذا ٠٠ وقد عجبت لهدوئها المفاجىء ، وتوجست شرا ، وكان ينبغى فى تلك اللحظة أن أكون على

حذر ، وان أدرك أنها ولا شك قررت أن تقضى على أمياس ، وان هذا القرار هو سر هدوئها المفاجيء . فقد كنت دائما أعرف أن كارولين امرأة شديدة الخطر رغم ما يبدو عليها من رقة وجاذبية أحيـانا ، ولكننى ، بحماقتى ، ظننت أنها خضعت للأمر الواقع ، وانها سوف تستسلم لنصيبها فى الحياة

▭

وأقبل الجميع بعد ذلك .. الزا فى تحد وانتصار .. ولكن كارولين لم تحفل بها ، وأنقذت انجيلا الموقف بمناقشتها مع المس ويليامز بشأن الجونلة ، قائلة : « انها لن تغيرها ، لان ميرديث « العجوز » لن يلحظ انها فى حاجة الى كى » ، ومضينا فى الطريق الى اخى ميرديث .. كارولين وانجيـلا فى المقدمة ، وأمياس وأنا ، ثم الزا بمفردها .. تسير شامخة الرأس .. باسمة !

ووصلنا الى بيت ميرديث ، ولست أذكر شيئا من الحـديث الذى دار أثناء تنـاولنا الشـاى ، ولكنى أذكر أن ميرديث ، وقد لاحظ اضطراب الموقف وعرف شيئا مما سيحدث بين كارولين وأمياس ، انفرد بى بعد الفراغ من الشاى وقال لى :

« اسمع يا فيليب .. مستحيل ان يفعل أمياس شيئا من هذا »

« أؤكد لك أنه سيتزوج بهذه الفتاة فى أقرب فرصة »

« ولكن .. كيف يترك زوجته وابنته ليتزوج بفتـاة تصغره بعشرين عاما ؟ »

« لا تنزعج من هذه الناحية .. ان الزا تعرف تماما ما تريد .. وسوف تظفر به »

وانتهت محادثتنا عند هذا الحد . وكنت أعرف أن كارولين ، بعد طلاقها ، سوف تتزوج من ميرديث الذى ظل مخلصا لحبها كل هـذه السنوات .. والعجيب انى لا أتذكر بالتفصيل ماذا حدث فى غرفة المعمل .. فقد كنت دائما أضيق بحديث ميرديث عن هوايتـه فى اسـتخراج العقـاقير من النباتات الطبية ، ومن ثم وقفت معهم مستغرقا فى أفكارى الخاصة ، ولهذا لم أر كارولين وهى تختلس كمية سم الكونين ، ولكنى اذكر ان ميرديث ، بعد مغادرتنا غرفة المعمل الى غرفة المكتبة ، قرأ لنا فصلا ممتعا رائعا عن مأساة سـقراط ،

واللحظات الاخيرة من حياته بعد أن أعطى كأس سم الكونين ليشربه

وليس هناك ما يستحق التسجيل من أحداث هذه الليلة ، ولكنى أذكر أن انجيلا تشاجرت بعنف مع أمياس قبل أن تأوى الى النـوم بشأن قراره لالحاقها بمدرسة داخلية . واذكر اننا ابتسمنا اسـدء المشاجرة الصبيانية ، التى خففت من توتر الجو المنزلى ، ومما أثار ضحكنا ، أن انجيلا قالت لامياس ، قبل أن تفر باكية الى مخدعها ، أنها أولا : ستعرف كيف تنتقم منه ، وثانيا : تتمنى لو أنه مات ، وثالثا : ترجو أن يموت بالجذام ، ورابعـا : تأمل أن تلتصق بأنفـه قطعة سجق ولا تنتزع منه ابدا ، كما جاء فى القصة الخرافية !

ولما ذهبت ، ضحكنا جميعا لهذه « التشكيلة » المنتقاة من الدعوات

وأسرعت مس ويليامز وراء تلميذتها لتهدىء من ثورتها ، وغادرت كارولين الغرفة الى مخدعها ، ومضى أمياس والزا الى الحديقة، أما أنا ، فقد سرت بمفردى فى سكون الليل ...

وفى اليوم التالى ، هبطت الى قاعة الطعام فى سـاعة متأخرة من الصباح ، ولم يكن بها أحد ، فتناولت الافطار بمفردى ، وتجولت قليلا ، ورأيت مس ويليامز تبحث هنا وهناك عن انجيلا التى هربت منها حتى لا تخيط جونلتها بنفسـها .. ثم عدت الى صـالة الطابق الاول حيث سمعت مشاجرة حامية كانت دائرة بين أمياس وزوجته فى غرفة المكتبة ، وقد سمعتها تقول بوضوح وبنفور شديد :

« هكذا أنت دائما مع نسائك ، لسوف أقتلك فى يوم ما »

وسمعت أمياس يرد عليها قائلا : « لا تكونى حمقاء يا كارولين »

فقالت : « بل اننى أعنى ما أقول »

ولم أشأ أن أسمع أكثر من هذا ، فغادرت الصـالة الى الشرفة الكبيرة ، حيث رأيت الزا جالسة على مقعد مستطيل تحت نافذة غرفة المكتبة مباشرة .. وكانت النافذة مفتوحة ، ولهذا أعتقد أنها سمعت كل كلمة دارت بين الزوجين . ولكنها حين رأتنى ، نهضت مسرعة، وأقبلت نحوى باسمة ، وتنـاولت ذراعى ، وقالت ان الجو فى ذلك اليوم جميل .. فيا لها من فتاة قاسية لا ترحم .. تتغزل فى جمال الجو بينما الخصومة دائرة بين الزوجين داخل القصر .. وبقينـا فى الشرفة بضع دقائق نتحدث ، ثم اذا كريل يقبـل نحونا مضطرم الوجه ، ويمسك بكتف الزا فى شىء من العنف ويقول لها : « هلم..

فقد آن وقت الرسم .. انني أريد أن أفرغ من الصورة اليــوم ،
فقالت له : « حسنا ، لسوف آتى بسترتى الصوفية لاضعها على
اكتافى ، فان الهواء فى حديقة البحر بارد .. »
ولما دخلت القصر ، قال أمياس لى : « هؤلاء النساء .. »
ولم يزد .. وبقينا صامتين حتى عادت الزا ، ومضت معــه الى
حـــديقة البحر ، ودخلت أنا الى القصر ، ورأيت كارولين واقفة فى
الصالة فى شبه ذهول ، حتى خيل الى أنها لم ترنى ، وانما سمعتها
تقول بوضوح : « يا للقسوة .. يا للاستهتار »
ثم صعدت الى الطابق الثانى دون أن يبدو عليها أنهــا رأتنى أو
شعرت بى ، وكأنما هى مشغولة الذهن بتدبير شىء .. وأعتقد «وان
كان ليس من حقى أن أقول هذا » أنها صــعدت لتحضر السم الذى
قررت أن تقتل به زوجها .. وفى تلك اللحظة ، دق جرس التليفون،
فلم أنتظر حتى يرد عليه أحد الخدم ، وانما تنــاولت السماعة ، فاذا
أخى ميرديث يخبرنى بأمر اختفاء كمية من سم الكونين من معمله..
ولست بحاجة لان أعيد ما قلته بهذا الشأن ، وانما يكفى القول أنى
طلبت من ميرديث الحضور فورا ، وذهبت الى شاطىء الخليج لألتقى
به ، ومررت فى طريقى بسور حديقة البحر حيث سمعت أميـــاس
والزا يتبادلان الحديث فى بهجة وانطلاق ومرح.. وكان أمياس يقول
ان الجو فى ذلك اليوم حار بشكل عجيب بالنسبة لشهر سبتمبر ،
وقالت له الزا ان الهواء البارد الذى يهب عليهــا من البحر جعــل
عضلاتها تتيبس وهى جالسة أمامه بغير حراك ، وأردفت قائلة : « ألا
يمكن يا حبيبى أن تدعنى أستريح قليلا » وسمعت أمياس يصيح بها
« لا لا .. أبقى كما أنت .. فاننى أسير سيرا حسنا فى اللوحــة ،
وأؤكد لك انها ستكون رائعة .. لا تقطعى حماسى للعمل .. »
وسمعتها تضحك قائلة « يا لك من وحش قاس »

□

ووصلت الى شاطىء الخليج حيث رأيت ميرديث يغادر الزورق .
وشرعت أتحدث معه بشأن السم المسروق ، ولما تأكدت تماما من أن
كمية من سم الكونين سرقت حقا من معمله ، قلت له لابد أن تكون
كارولين هى السارقة حتى تقضى على الزا وتحتفظ بزوجها ، ولكن
ميرديث أبى أن يصدق أن تهبط كارولين الى حــد ارتكاب الجريمة ،

وان من المرجح أن تكون الزا هي السارقة ، وهكذا بقينا نتجادل ، ثم قررنا أن نتحرى الأمر في روية وهدوء ، وأن ينفرد كل منا في الوقت المناسب بكارولين والزا لمحاولة استدراجهما أو تحذيرهما من مغبة هذا العمل ٠٠ وكنا نتحدث في هذا الامر ونحن صاعدان في الممر الى القصر ، ولما اقتربنا من سورحديقة البحر ، سمعنا ما يشبه المشاجرة بين أمياس وكارولين في الحديقة ، وقد سمعنا كارولين تقول لزوجها : « انك قاس على الفتاة أكثر مما ينبغي » ثم اذا باب الحديقة يفتح ، وتخرج كارولين مضطرمة الوجه ، ثم تبتسم لنا وتقول انها كانت تتناقش مع أمياس بشأن الحاق انجيلا بالمدرسة ، وأنه مصر على رأيه ، وفي تلك اللحظة ، أقبلت الزا من ناحية القصر حاملة في ذراعها معطفا خفيفا من الصوف الاحمر ، فلما رآها أمياس، قال لها : « هلم عودي الى مكانك لاواصل الرسم ، فاني لا أريد أن أضيع الوقت »

وعاد هو الى حامل الرسم ، وقد لاحظت أنه يسير مترنحا بعض الشيء ، وخطر لي أنه أسرف في الشرب ، واذا كان قد أسرف ، فله العذر ، فليس هناك من يستطيع أن يحتمل كل هذه المشكلات دون أن يستعين ببعض كؤوس من الخمر !

ثم سمعته يقول متأففا :

« لماذا لا توجد هنا بعض زجاجات البيرة المثلوجة بدلا من هذه الساخنة الرديئة المذاق »

فقالت له كارولين « لسوف آتي اليك بزجاجة من ثلاجة القصر »

فغمغم أمياس قائلا : « شكرا ٠٠ »

ثم أغلقت كارولين باب الحديقة وصعدت معنا الى القصر ،وهناك، دخلت هي ، وجلست أنا مع ميرديث في الشرفة ، وبعد خمس دقائق أحضرت لنا انجيلا زجاجتين من البيرة وبعض الاقداح ، وفيما نحن نشرب ، رأينا كارولين وهي تمضي بزجاجة بيرة مثلوجة قائلة أنها ستحملها الى زوجها ، فعرض عليها ميرديث أن يمضي بها الى أمياس بدلا منها ، ولكنها أصرت على أن تقوم هي بخدمته ٠ وقد خطر لي ، لحماقتي ، أن اصرارها هذا يرجع الى شدة غيرتها ، والى رغبتها في أن تفاجيء زوجها بين الحين والآخر وهو منفرد بالزا في

حديقة البحر ، ولهذا فاجأته قبل الآن متظاهرة بالرغبة فى مناقشة موضوع الحاق انجيلا بالمدرسة ٠٠

وسارت منحدرة فى الممر المتعرج ، وراقبها ميرديث برهة ، أما انجيلا فقد كانت تلح فى أن أصحبها للسباحة فى البحر ، ومن ثم ذهبت معها بعد أن قلت لميرديث عن موضوع اختفاء سم الكونين « لسوف نواصل الحديث فى الموضوع بعد الغداء »

وقضيت فترة طيبة فى السباحة مع انجيلا وأنا أقرر فى أعماق نفسى أن أتحدث ، بعد الغداء ، مع كارولين فى موضوع السم المختفى، ذلك أنى كنت انتهيت حينذاك الى أنها هى التى سرقت كمية السم ، وأنه ليس هناك ما يدعو الزا الى ارتكاب أية جريمة ما دامت واثقة بأنها هى المنتصرة فى المعركة ، وأن أمياس على استعداد للانفصال عن زوجته والزواج بها ٠٠

وسمعنا رنين جرس الغداء ، فانطلقت مع انجيلا مسرعين الى القصر ، وهناك وجدنا الجميع ، فيما عدا أمياس الذى قال أنه سيبقى ليفرغ من رسم اللوحة ، جالسين الى مائدة الطعام ، وفرغنا من تناول الغداء ، وجلسنا نشرب القهوة فى الشرفة ، وانى أحاول الآن أن أذكر كيف كانت حالة كارولين فى تلك الفترة ، وانه من العجيب أن أذكر أنها كانت فى حالة هدوء تام وكأنها لم تقتل منذ لحظات رجلا ٠٠ زوجا ٠٠ وأبا .. وانى ، لهذا السبب ، لأزداد شعورا بالحقد عليها والكراهية لها ٠٠ فلو أنها قتلت أمياس بمسدس فى ساعة غضب لالتمست لها بعض العذر ، أما أن تدبر مقتله بالسم، ثم تتناول الغداء بهدوء ، بل وبشهية ، ثم تجلس معنا فى الشرفة وتشرب القهوة دون أن ترتعد لها يد ، أو يطرف لها جفن ، أو يشحب منها وجه ، فهذا ما لا يقدر عليه الا شيطان فى صورة امرأة ٠٠

ونهضت أخيرا ، وقالت بهدوئها القاتل : « أنها ستحمل القهوة الى امياس » ستحملها اليه وهى موقنة تماما أنه ميت ٠٠ !! وذهبت معها مس ويليامز لتبحث عن صديرية صوف نسيتها انجيلا على الشاطىء ، وبعد اختفائهما فى الممر ، نهض ميرديث ، وسار وراءهما، وفيما أنا أهم باللحاق به بعد أن أعتذر لالزا ، اذا هو يعود مهرعا مضطربا يقول :

« يجب استدعاء طبيب حالا ٠٠ ان امياس ٠٠ فى حالة خطرة »

الفصل التاسع

اعتراف الحبيب الهادئ

وكتب ميرديث بليك يقول عن المأساة :

انني شخصيا لازلت اعتقد أن امياس كريل مات منتحرا .. ولا تسألني لماذا أو كيف ، فاني لن أومن فى يوم من الايام أن كارولين ارتكبت جـــريمة قتل . وكذلك ليس هناك أى دافع يبرر قتـــل أمياس على يد واحد من الاشخاص الخمسة الذين كانوا موجودين اثناء وقوع المأساة . وأيا كان الامر ، فاني سأسرد الحقائق كمـا اذكرها ..

اذكر اولا هذه الحادثة التى دارت بينى وبين كارولين قبلالمأساة ببضعة أسابيع ، اي عند ماقامت الزا جرير بزيارة امياس فى قصره اول مرة . وكانت كارولين تعرف عن يقين مدى حبى لها،واستعدادى للتضحية بشأنها ، وانتهاز كل فرصة لخدمتها والتسرية عنهـا وتخفيف احزانها . وقد دهشت حين سألتنى فجأة هل اعتقد أن أمياس يحب تلك الفتاة حقا ، فقلت :

« اعتقد انه مهتم فقط برسم لوحة فنية لها »

« لا .. لا .. بل انه يهيم بها غراما »

« انها جميلة وجذابة .. هذا صحيح .. ولكننى أعرف ياكارولين أن امياس ، برغم علاقاته المتعددة بالنسـاء ، لا يحب أحدا غيرك .. انت فقط ياكارولين التى تملئين قلبه وحياته »

« هذا ماكنت اعتقده دائما .. »

« وحتى الآن .. »

فهزت راسها وقالت :

« ولكننى خائفة ياميرديث هذه المرة . نعم خائفة ... ان الفتاة

تحب امياس حبا حقيقيا .. هذا ما اشعر به ، وانها لشابة ،ومتفانية في الحب . ويبدو انه الحب الاول الحقيقي في حياتها . ولهذا اشعر ان الامر : هذه المرة ، جد وخطير .. »

ثم أردفت قائلة : « انني في الرابعة والثلاثين من عمري ياميرديث، وقد تزوجت بأمياس منذ عشرة أعوام .. ولكنني لا اكاد اذكر — من ناحية الجمال والجاذبية — مع هذه الفتاة التي تتمتع بكل شيء .. بالشباب والجمال والمال والعاطفة الثائرة .. »

فقلت لها : « ولكن امياس ، مع هذا ، لا يطيق الحيـــاة بدونك يا كارولين ؟ »

فقالت وهي ترسل ضحكة خفيفة مريرة :

« هل يمكن لاية امرأة أن تثق دائما في أي رجل ؟ ! انني ياميرديث امرأة بدائية ، واتمنى لو استطعت ان ابقر بطن هذه الفتاة .. »

فقلت لها : « ان الامر كله لن يعدو أن يكون نزوة عابرة بين أمياس والزا .. وان كلا منهما لن يلبث ان يفتح عينيه على حقائق الحياة ، وأن يبتعد في النهاية عن الآخر .. »

وحولت هي مجرى الحديث .. ولم تلبث الزا بعد تلك الزيارة الاولى أن عادت الى العاصمة ، ولحق امياس بها حيث قضى معهـــا في العاصمة بضعة أسابيع ، ثم نسيت أنا تقريبا كل شيء عن الموضوع الى أن سمعت ان الزا عادت مرة اخرى للاقامة مع أمياس في قصر آلدربرى ، وذلك لكي يفرغ من رسم اللوحة التي بداها اثنـــــاء زيارتها الاولى . واذكر انى حدثتك بما دار بيني وبين امياس ، ثم الزا من حديث في هذا الموضوع ، ولكنني لم استطع ان اتبـــادل الحديث على انفراد مع كارولين الا فترة وجيزة ، وذلك حين قالت لى ان كل شيء بالنسبة لها قد انتهى .. وانها هي قد انتهت ايضا .. ولهذا اعتقد تماما انها اختلست كمية من سم الكونين بعد محاضرتي الحمقاء عنه ، لا لتقتل به أحدا ، وانما لتنتحر به ، ولكن يبدو لى أن امياس اكتشف هذه الحقيقة .. اكتشف أن زوجته استولت على كمية من مخدر سام لتنتحر ، فاستيقظ ضميره ، وقرر أن ينتحر هو بدلا منها .. لماذا ؟ لانه راى نفسه بين امرين احلاهما مر .. فهو لا يستطيع الحياة بدون الزا بعد أن تمكن حبها من قلبه ، ثم هو لن يستطيع أن يهجر زوجته حتى لا يدفعها الى الانتحار بعد ان راى

بنفسه عزمها عليه ، فماذا يفعل ؟ ! لم يكن أمامه الا أن يريح نفسه بالموت.. ولكنه لم ينتحر الا بعد أن فرغ أو كاد من رسم اللوحةالتى كان يهتم بها فى ساعاته الاخيرة اشد الاهتمام

وانا اعترف طبعا ان فى هذه النظرية ثغرات كثيرة .. فمثلا لماذا لم نجدعلى زجاجة الكونينفى غرفة نومكارولين غيربصماتاصابعها ؟ هل يمكن أن تكون بصمات امياس قد أزيلت بسبب وضع الزجاجة بين الملابس القديمة ، ثم ارتسمت بصمات اصابع كارولين عليها حين اسرعت بعد وفاة امياس لترى ماذا حل بالزجاجة ؟ .. ربما ..

ولعل موقف كارولين اثناء المحـــاكمة يؤيد نظريتى هذه بعض التأييد .. فقد ادركت انها هى التى دفعت بزوجها الى الانتحار ، وانها هى التى اعدت له المادة السامة التى انتحر بها ، ومن ثم قررت أن تدفع الثمن ، وأن تلحق به ..

أما عن مشاعرى وتصرفاتى الخاصة ، فأقول انى نمت مضطربا بعد انصراف الجميع عقب تناولهم الشاى فى بيتى .. نمت مضطربا بعد أن حاولت أن أفكر فى وسيلة او فى اخرى انقذ بها الموقف بين كريل وزوجته . واستيقظت فى الصباح الباكر فى نحـو السادسة ، وشربت الشاى ؛ ولكنى وجدت راسى ثقيلة بسبب اضطراب نومى، فنمت مرة أخرى حتى الساعة التاسعة والنصف صباحا ، وعندئذ شعرت كأن شخصا يتحرك فى الغرفة التى تقع أسفل غرفتى مباشرة .. وهى غرفة المعمل .. واستطيع القول هنا ان هذه الحركة قد تكون ناتجة عن دخول قطة الى المعمل ، لانى حين ارتديت ملابسى وهبطت الى غرفة المعمل وفتحت بابها بمفتاحى الخاص ، وجدت انى أهملت فى اليوم السابق اغلاق النافذة كما ينبغى .. ومصراع النافذة كما تعلم من النوع الذى يرتفع وينخفض عند الفتح والغلق .. وقد وجدت ثمة فتحة فى النافذة تكفى لادخال قطة .. وفيما انا اطوف بنظراتى فى جوانب المعمـل ، لاحظت أن زجاجة الكونين بارزة قليلا عن صف الزجاجات فوق الرف ، فلمسا رفعت يدى لأعيدها الى مكانها ، رايت ، لفزعى ، أن الكميـــة التى بها أقل من النصف ، رغم انها كانت فى اليوم السابق ممتلئة تماما ، وشعرت أولا بالاضطراب ، ثم بالخوف ، ثم بالفزع .. ورحت استجوب الخدم فى عناية ، ولكنى أيقنت أن أحدا منهم لم يدخل غرفة المعمل ..

واخيرا اتصلت تليفونيا بأخي فيليب اسأله النصيحة ، فطلب مني أن اسرع اليه لاتبادل معه الحديث في هذا الامر الخطر .. وفيما انا في طريقي الى الخليج لاستقل الزورق ، رايت مس ويليامز تبحث عن تلميذتها انجيلا الهاربة منها .. والتقيت بفيليب في الجانب الآخر من الخليج ، وسرت معه صاعدين في الممر المتعرج الى القصر ، وفيما نحن نسير بجانب سياج حديقة البحر ، سمعت امياس وكارولين يتبادلان الحديث بصوت مرتفع ، وكأنهما يتشاجران ، وقد فهمت من العبارات الاخيرة أن كارولين تتهمه بالقسوة على الفتاة ، وأنه يؤكد لها أن كل شيء قد انتهى ، وأنها لابد ان ترحل ، وفجأة فتح باب الحديقة واقبلت كارولين مضطربة ، ولكنها ابتسمت حين رأتنا وقالت انها كانت تتناقش مع أمياس بخصوص انجيلا والحاقها بالمدرسة . وفي تلك اللحظة اقبلت الزا من ناحية القصر ممسكة بمعطف من الصوف الاحمر ، فهتف بها أمياس لكي تسرع وتجلس في مكانها حتى يفرغ من رسم اللوحة ، وواصلنا نحن السير في طريقنا الى القصر

▭

وجلست مع فيليب في الشرفة الكبيرة نتبادل الحديث في موضوع السم المختفي ، ثم اقبلت انجيلا تحمل الينا زجاجتين من البيرة وبعض الاقداح ، فسألتها عن السبب في هروبها من مس ويليامز ، فقالت انها كانت تسبح ، وانها لاتجد سببا يدفعها الى خياطة جونلتها القديمة مادامت ستظفر بملابس جديدة عند التحاقها بالمدرسة . ورأينا كارولين وهي تحمل زجاجة بيرة مثلجة الى زوجها ، ثم ذهب فيليب مع انجيلا للسباحة ، ولما بقيت بمفردي ، نهضت وسرت الى الهضبة الصغيرة التي تشرف على حديقة البحر ، وجلست على مقعد خشبي مستطيل أتسلى بالنظر — من بعيد — الى أمياس وهو يرسم الخطوط الاخيرة لالزا التي كانت جالسة على سور الحديقة في الوضع المناسب .. وكانت تضع على كتفيها المعطف الصوفي الاحمر لتحتمي به من هواء البحر البارد ، وكان وجهها ينبض بالحياة والصحة والشباب ؛ وصوتها ينساب رنانا بالبهجة وهي تتبادل الحديث مع أمياس عن المستقبل الباسم الذي ينتظرهما معا ..

وارجو الا يخطر ببال احد انى كنت استرق السمع .. لا .. فقد كانت الزا تراني من مكانها ، وقد لوحت لى بذراعها قائلة ان اميـاس شديد القسوة عليها فى هذا الصباح ، وانه يرفض أن يتيح لها فترة للراحة من البقاء على هذا الوضع ساعات متواصلة .. ودمدم أمياس قائلا انه أيضا يشعر بتيبس فى عضلاته ، وانه يخشى أن يكون قد أصيب بروماتزم عضلى ، فداعبته الزا بقولها : « ياالك من رجـل عجوز مريض » ورد عليها بقوله « انك ستتزوجين من رجل مقيد بالروماتزم »

وقد امضنى وصدمنى حديثهما هذا المرح عن مستقبلهما ، دون ان يهتما فى قليل او كثير بآلام كارولين واحزانها .. ولكنى لم اتح باللائمة على الزا .. فقد كانت طفلة .. فى نحو العشرين من عمرها . خافقة القلب بالحب ، سعيدة بالحياة ، مفتونة بسحر جمالها ، غير مدركة بحقيقة الموقف او بقسوة الآلام التى تسببها للغير .. انهـا فى الواقع لم تكن ترى فى الوجود احدا غيرها وغير أمياس ..

وكان الحديث بينها وبين أمياس متباعد الفترات .. فبعد كل خمس أو عشر دقائق تتحدث بشىء ، فيرد عليها ، فمثلا قالت له : « اعتقد انك محق فى رايك عن اسبانيا .. نعم .. انها خير مـكان شاعرى لقضاء شهر العسل .. ولكن لاتنس ان تأخذنى وتفرجنى على حفلة من حفلات مصارعة الثيران .. لاشك أن مثل هــذه الحفلات مثيرة للمشاعر ، وانا أرجو الا يموت الثور فى الحفلـة التى سأحضرها ، وانما الميتادور .. وانى لأفهم الآن كيف كانت مشاعر نساء روما القديمة وهن يرين المصارعين يموتون .. فأن الرجال كثيرون ، ولكن الحيوانات المدربة قليلة .. »

واعتقد انها هى نفسها كانت كحيوان جميل .. بدائى المشاعر ، قليل التجارب ، عديم التفكير .. نعم .. كنت أعتقد أنها لم تـكن تعرف كيف تفكر .. وانما تعرف كيف تشعر فقط ..

ورن جرس الغداء ، فهبطت من الهضبة والتقيت بالزا عنـد باب الحديقة ، وكان أمياس متهالكا على المقعد المستطيل بجانب لوحـة الرسم ، فظننته : كالمعتاد ، يستريح أو يستلهم الوحى . اذ انى كثيرا ما رايته على مثل هذه الحال .. وقد قالت لى الزا حين نظرت اليها مستفسرا : «انه لن يذهب معنا لتناول الغداء» فقلت فى نفسى

«خير افعل» وكان هو ينظر الى نظرات غريبة عجيبة كأنما يريد ان يقول شيئا ولكنه لا يستطيع ، ولم اكن ادرى ان المسكين فى تلك اللحظة كان يحتضر ، وان الشلل كان يسرى فى كل عضلات جسمه حتى لسانه .. وهكذا تركته مع الزا ونحن نظن انه بخير ، وانه لن يلبث ان ينهض ويستأنف العمل فى اللوحة .. وكانت الزا المسكينة تثرثر معى وتضحك وهى لا تدرى انها لن ترى حبيبها مرة اخرى الا جثة هامدة

وكانت كارولين طبيعية هادئة اثناء تناول الغداء وبعده .. وهذا ما يجعلنى شديد الثقة ببراءتها .. فلا اظن انه يوجد فى الدنيا امرأة تستطيع أن تبدو بمثل هذا الهدوء والثبات وهى تعلم ان زوجها يحتضر بالسم الذى دسته له .. لا .. هذا فى رايى مستحيل

ولما اكتشفت بنفسها الوفاة ، بدت لى كأنها ذاهلة من فرط الصدمة .. اما الزا ، فكانت كالوحش الثائر الذى اختطفت منه طعامه وهو اشد مايكون جوعا .. وقد كادت أن تفتك بكارولين بعد ان اتهمتها بقتل امياس لولا ان تدخلْ فيليب فى الامر ، كما قال لى ، وتعاون مع مس ويليامز على تهدئة ثائرتها

واذكر ان كل ماحدث بعد ذلك كان كالكابوس المزعج الرهيب .. فقد جاء الطبيب ، ثم رجال البوليس ، ثم مندوبو الصحف والمصورون واصبح المكان كخلية نحل هاجمتها اسراب من « الدبابير »

نعم .. كان كل شىء بعد ذلك مثل كابوس رهيب ..

واعتقد ان هذا الكابوس لا يزال مخيما على حياتنا رغم مرور كل هذه الاعوام ..

انني اسأل الله ان يحقق لكارلا الصغيرة املها فى الوصول الى الحقيقة الكاملة ، فانها سوف تنسى كل شىء حين يطمئن قلبها الى حقيقة ماحدث

اما انا ، فلا زلت اعتقد ان امياس مات منتحرا ، ولا تسألنى لماذا ... فان كثيرا من الناس يرتكبون اشياء لم تكن متوقعة منهم .

الفصل العاشر

قصة غرام

... وهذه هي رواية الليدى دتشام :

لسوف اذكر هنا القصة كاملة من بدايتها ... منذ ان التقيت بأمياس كريل لاول مرة الى نهايتها المفجعة

رايته اول مرة فى حفلة فنية بأحد المعارض .. كان واقفا بجانب النافذة .. ورأيته وأنا ادخل من الباب .. وسألت احدهم من يكون هذا ، فقال : « انه الرسام كريل » فقلت فورا : « انني أريد أن اتعرف به .. »

وتعرفت به .. وتحدثت معه نحو عشر دقائق .. ولست ادرى على وجه التحديد كيف كانت مشاعري فى تلك اللحظات .. ولكن يكفى ان اقول : « ان كل شيء بدأ فى عينى صغيرا ضئيلا بجانب امياس » لقد ملأ هو افق حياتى ، فلم اعد ارى احدا غيره .. وبعد هذه المقابلة مباشرة ، ذهبت للتفرج على جميع لوحاته المعروضة في بوند ستريت ، وفى متاحف لندن ومدينة ليدز .. وتقابلت معه مرة اخرى ، وقلت له : « لقد شاهدت جميع لوحاتك .. وأعتقد انها رائعة »

فنظر الى فى ابتسام خفيف وقال :

« ومن قال انك تصلحين للحكم على اللوحات الفنية .. اكبر ظنى انك لا تفهمين شيئا عن فن الرسم »

« ربما .. ولكن هذا لا يمنع من اعجابى الشديد بها »

« لا تكونى حمقاء متهورة فى أحكامك »

« انني لست كما تظن ، أريد أن ترسمنى بريشتك »

« لو كنت تفهمين شيئا فى الفن ، لادركت انني لا أرسم لوحات

للفتيات الجميلات ، ان أساس رسومي كلها، هي الفكرة لا الاشخاص »

« ارسمني على أني فكرة ، وما اظن انى فتاة جميلة »

فنظر الى برهة وكأنما يرانى لاول مرة ثم قال :

« نعم ، أعتقد انك على صواب »

« هل سترسمني اذن ؟ »

« يبدو لي انك طفلة عجيبة ، أليس كذلك ؟ »

« انني طفلة موفورة الثراء كما تعلم .. واستطيع أن ادفع لك ما تريد من أجر »

« لماذا تتلهفين الى هذا الحد لكي أرسمك ؟ »

« لانى أريد هذا »

« أهذا سبب معقول ؟ »

« لقد تعودت دائما أن اظفر بما أريد »

« اوه ... يا لك من طفلة حمقاء ؟ »

« هل سترسمني اذن ؟ »

فأمسك بكتفى فى شيء من العنف ، وراح يمعن النظر الى وجهى وشعرى وصدرى ، ثم قال :

« نعم ، سأجعل منك لوحة فنية ، مهرجانا للالوان »

« اذن سترسمني ؟ »

« نعم .. سأرسم اروع وأجمل وابهى الالوان الضاحكة ، النابضة ، المتوثبة ، التى تصور الجمال ، والشباب ، وافراح الحياة »

« اتفقنا »

« ولكنى احذرك يا الزا جرير ... انني عادة اقع فى حب التى ارسمها »

« اتمنى أن تفعل »

فلهثت أنفاسه ، ونظر الى فى دهشة ، وقد بدا الحب فعلا يطل من عينيه فى تلك اللحظة .. هكذا ، ببساطة ، جمع الحب بيننا بأقوى رباط

والتقينا مرة اخرى بعد يوم أو اثنين ، وطلب منى أن اذهب معه الى قصره فى آلدربرى لانه يريد أن يرسمنى فى وضع خاص ، وفى اطار معين تجتمع معه كل ما فى الطبيعة من الوان وبهاء ، ثم قال :

« اننى رجل متزوج كما تعرفين ، وأحب زوجتى أشد الحب »
« اذن لا شك انها جميلة ولطيفة ما دمت تحبها هكذا »
« جدا .. والواقع اننى اقدس التراب الذى تسير عليه ، ويجب أن تفهمى هذا تماما »
« حسنا .. فهمت »

وبدأ اللوحة بعد اسبوع ، وقد استقبلتنى كارولين فى أول الامر بحماس وترحاب ومودة ، ولكن فى شىء من التحفظ الخفى .. واعتقد انه لم يكن هناك ما يدعو الى خوفها منى ، فان امياس لم يحاول أن يقول لى شيئا لا يستطيع ان يقوله امام زوجته .. وكنت انا اعاملها بأدب ورقة وتهذيب .. ولكننا ، فى أعماق نفوسنا ، كنا نشعر بالقدر المتربص لنا

وكان على ، بعدعشرة أيام قضيتها فى تلك الزيارة الاولى أن اعود الى لندن ، فقلت له :

« انك لم تفرغ من رسم اللوحة بعد ؟ »
« اننى فى الواقع لم أبدأها بعد »
« لماذا ؟ »
« انت تعرفين السبب يا الزا ، ولهذا يجب أن ترحلى حتى تهدأ مشاعرى ، فاننى لا استطيع أن افكر فى الرسم ، بل لا استطيع ان افكر فى شىء آخر ... غيرك »

وكنا فى حديقة البحر عندئذ .. وكان الجو دافئا صافيا زاخرا بأغاريد الطيور ، مفعما بأريج الزهور . وكان ينبغى أن نشعر بالسعادة ، ولكننا لم نكن نشعر الا .. بالقلق .. وكأنما كانت ارواحنا تدرك المصير المنتظر !

وكنت اعرف انه لا فائدة من عودتى الى لندن ، ولكنى ، مع هذا ، قلت :

« حسنا .. سأبتعد عنك اذا كان هذا يرضيك »
« انك فتاة رائعة ... »

وعدت الى لندن ، ولم أكتب اليه ..

وصبر هو عشرة أيام .. ولشد ما دهشت وصدمت حين رأيت حالته اليائسة ، ونحول جسمه أثناء هذه الايام العشرة من الفراق وقد قال لى حين رآنى :

« لقد حذرتك يا الزا .. فلا تلوميني .. »

« انني لا الومك .. ولـكنني سأفتح ذراعي لك .. فقد كنت في انتظارك .. وكنت اعرف انك آت الي »

فتأوه وقال : « هناك اشياء اقوى من كل ارادة انسانية .. لم يكن في مقدوري أن آكل أو انام أو استريح لفرط شوقي اليـك ولهفتي عليك »

فقلت له انني اعرف هذا ، لان هـذا هو نفس شعوري منـذ رأيته أول مرة ، فقال :

« كأنك لم تحاولي أن تقاومي هذا الشعور كما قاومته »

« ولماذا أقاومه وهو اجمل شعور احسست به في حياتي ؟ »

« لو لم تـكوني صغيرة الى هـذا الحد »

« ولـكن قلبي ليس صغيرا .. »

وقضينا معا بضعة أسابيع .. واعتقـد انني عاجزة تماما عن وصف السعادة التي كانت تملأ قلوبنا في تلك الاسابيع .. انهـا لم تكن سعادة ، وانما كانت شيئا اعمق وأضخم ..

ولـكن امياس كان يشعر بالقلق من اجل الصوره .. وفي نهاية تلك الاسابيع قال :

« انني لم أستطع ان استمر في رسـمك .. بسبب اضطراب مشاعري نحوك .. اما الآن .. اما وقد عشت معك كل هـذه الاسابيع وتشربت روحي من رحيق جمالك وشبابك ، فاني اشعر تماما بأني سأرسم صورة لم يشهد لها عالم الفن مثيلا .. انني الآن اكاد اموت شوقا الى استئناف الرسم .. هناك .. ستجلسين على سور الحديقة .. وحولك زرقة السماء ، وخضرة الاشجار ، وكأنك رمز للنصر .. »

ثم اردف يقول :

« المهم الآن أن أفرغ من الصورة في جو هادىء ، وبعد ذلك سأخبر كارولين بكل شيء ، ثم نتفق على حل المشكلة »

« اتعتقد أن كارولين ستمانع في الطلاق منك »

« لا اظن . ولكن ، من يدري ؟ ! »

« اذا كانت تحبك ، فيجب أن تعمل على اسعادك ولو على حساب آلامها .. »

كانت كارولين تكرهني ، وتخزني بعبارات ملتوية ، تبدو بريئة في ظاهرها قاطعة كالسكين في حقيقتها .. ولها العذر .. وهكذا رأيت ان خير وسيلة لتخفيف حرج موقفي ، هي أن أواجه الامر في صراحة وصدق .. ولما اخبرت امياس برأيي هذا ، قال :

« اللعنة على الصراحة والصدق .. انني أريد أولا ان اتم رسم اللوحة في هدوء ... »

ورغم فهمي لموقفه ، فقد أبى هو ان يفهم موقفي ..

ولم أستطع ان احتمل الامر طويلا .. فقد حدث ان تحدثت كارولين عن رحلة ستقوم بها مع اميـــاس في الصيف التالي الى النرويج .. وكانت تتحدث بلهجة الواثقة من نفسها ومن زوجها .. وغضبت .. غضبت لجو الخداع والنفاق الذي تعيش فيه .. ومن ثم صارحتها بالحقيقة .. ولم يستطع امياس الا أن يؤيدني وينصرني عليها .. ثم ذهبنا جميعا لشرب الشاي في منزل ميرديث ، وهنـاك رأيتها بعيني وهي تختلس كمية من سم الكونين من المعمل .. وقد خطر لي حينئذ انها ستنتحر به

▭

وفي صباح اليوم التالي ، سمعتها تتشاجر مع امياس في غرفـة المكتبة .. وكنت جالسة في الشرفة تحت نافذة الغرفة مباشرة .. وقد بدأ هو حديثه راجيا أن تكون عاقلة ، وان ترضى بالامر الواقع ، وأن تتأكد بأنه سيرعى مستقبلها ومستقبل طفلتهما .. ولكنها أبت الا ان تثور عليه ، فهتف بها غاضبا : « ليس هناك مفر من زواجي بالزا .. سواء رضيت أم أبيت .. لن يمنعني من الزواج بها شيء فما نحن بأول زوجين يفترقان بالطلاق .. »

فقالت له كارولين عندئذ :

« افعل ما تريد ... فقد حذرتك »

« ماذا تعنين يا كارولين ؟ »

« اعني انك لي ... لي وحدي ، واني أفضل أن أراك ميتا على أن اسمح لامرأة اخرى ان تظفر بك .. واذا تماديت هكذا مع نسائك فسوف اقتلك يوما »

وبعد برهة ، رأيت فيليب بليك يقبل الى الشرفة ، فنهضت اليه حتى لا يسمع ما يجري في غرفة المكتبة

وبعد ذلك اقبل امياس مضطرم الوجه ، وطلب منى ان أذهب معه لـكى يفرغ من رسم اللوحة ، فذهبنا الى حديقة البحر .. ولم يقل هو شيئا اكثر من أن كارولين ثائرة عليه ، ولـكنه لا يريد ان يتحدث عن هذا الموضوع حتى يفرغ من اللوحة .. واذكر انه قال لى بالحرف الواحد :

« ان اللوحة هى اهم شىء فى حياتى الآن .. وسوف تكون اروع عمل فنى قمت به .. ولن اتراجع عن اتمامها حتى لو دفعت فيهـا كل هذا الثمن من الدموع والدماء »

وبعد نحو ساعة ، غادرت حديقة البحر لآتى بمعطفى الصـوفى الاحمر لأضعه على كتفى ، اذ كان هواء البحر يهب على جسمى ، باردا ... ولما عدت الى الحديقة ، وجدت كارولين هناك ، ولعلها كانت تبذل محاولة اخيرة لاقناع امياس بخطئه نحوها .. وكذلك كان معهما فيليب وميرديث بليـك .. وعندئذ قال امياس انه فى حاجة الى بيرة مثلجة ، لأن البيرة الموضوعة فى الحديقة سـاخنـة ورديئة المذاق ، فوعدته كارولين بارسال زجاجة بيرة مثلجة من القصر ، وكانت تتحدث بطريقة هادئة ، تدل على قوة اعصـابها ، وبراعتها فى التمثيل .. ولا شك فى هذا .. فقد قررت فى تلك اللحظة ان تاتى بالبيرة المثلجة ... السامة !

واحضرت الزجاجة بعد عشر دقائق ، وكان امياس مشـغولا بالرسم .. وملأت له الـكأس ووضعتها بجانبه .. ولم يكن أحدنا يراقبها وهى تفعل هذا .. فقد كان امياس منهمكا فى عمله ، وكنت انا حريصة على البقاء فى الوضع المطلوب منى

وشرب امياس الـكأس ، وبدا على وجهه الامتعاض الشديد ، وقال ان للبيرة مذاقا مرا ، ولـكن هذه الـكأس ، على كل حال ، باردة منعشة .. والعجيب اننى ، حتى هـذه اللحظة ، لم اشك فى الامر ، فقلت ضاحكة انه يعانى ولا ريب من مرض فى الـكبد ..

وبعد اربعين دقيقة تقريبا ، سمعت امياس يشكو من تصلب فى عضلاته ، وقال انه يخشى ان يكون مصابا بروماتزم عضلى ، وكان دائما يعرب عن خوفه من المرض ، فداعبته قائلة انه رجل عجوز ، وداعبنى قائلا اننى سأتزوج من رجل عجوز وقعيد بالروماتيزم ، واخيرا دق جرس الغداء ، فتهالك جالسا على المقعـد الخشبى

المستطيل وقال انه لن يتناول الغداء حتى يفرغ من رسم اللوحة ، واقبل ميرديث الى باب الحديقة ، فذهبت معه الى القصر لاتناول الغداء تاركة امياس يموت وانا لا ادرى .. انتى لم ار فى حيـاتى رجلا يحتضر .. وقد ظننته راقدا ، كعادته ، يستريح .. وآه لو كنت اعلم الحقيقة .. اذن لاستدعيت طبيبا فى الحال ، ولـكان من الممكن انقاذه .. ولـكن ما فائدة الندم ؟

وبعد طعام الغداء ، وشرب القهوة فى الشرفة ، ذهبت كارولين مع مس ويليامز ، ذهبت لتكتشف جثة زوجها الذى قتلته بيديها .. وعندما علمت بالـكارثة ادركت فورا انها هى القاتلة .. وقد ظننت لاول وهلة انها لم تقتله بالسم ، وانما ذهبت وطعنته بسـكين أو برصاصة مسدس

وكنت اريد أن انشب اظافرى فى عنقها

كيف طاوعتها نفسها على قتله .. كيف رضيت أن تنتزع الحياة من رجل كان ينبض بالحياة ويحب الحياة .. كل هذا لـكى لا اظفر به دونها .. امراة رهيبة .. امراة لعينة حقيرة متوحشة .. انى اكرهها .. امقتها .. احقد عليها .. انهم لم يشنقوها .. وكان يجب ان يفعلوا .. بل ان الشنق كان اقل ما يجب لعقابها .. لشد ما امقتها حتى الآن ..



الفصل الحادى عشر

المربية العجوز

وهذه قصة المربية العجوز :

اسمى سيسليا ويليامز .. التحقت بالعمل لدى مسز كريل لاقوم بتربية مس انجيلاوارين والتدريس لها ، وكنت يومذاك فى الخامسة والاربعين من عمرى ..

وبدات العمل فى قصر آلدربرى ، وكان قصرا جميلا تحيط به مزرعة لطيفة ، وكانت المزرعة من املاك اسرة كريل منذ اجيال عديدة .. وكان سكان القصر مكونين من مستر ومسز كريل،وابنتهما كارلا التى كانت عند جدتها اثناء وقوع المأساة ، وانجيلا وارين ، وكانت يوم التحاقى بالعمل صبية فى الثالثة عشرة من عمرها ، وثلاث خادمات علمت انهن نشأن منذ طفولتهن فى خدمة آل كريل

وقد وجدت تلميذتى فتاة ذكية ، قادرة على فهم ما يلقى اليها من دروس ، لطيفة خفيفة الظل ، ولكنها عنيدة مدللة بسبب اسراف مسز كريل فى حبها والعنايه بها ..

اما المستر كريل ، فقد ادركت ، منذ اللحظة الاولى ، انه رجل هوائى، متقلب ، دموى المزاج ، ولست ادرى كيف استطاعت زوجته أن تحتمل الحياة معه ، رغم خياناته المتكررة لها ، كل هذه السنوات

ورايت مس الزا جرير عند زيارتها الاولى فى أول الصيف ، وكان واضحا لكل ذى عينين ان ثمة علاقة حب بينها وبين كريل ، وان مسألة رسم اللوحة ليست الا ستارا لاقامة الفتاة مع كريل فى قصر آلدربرى

وليس أدل على ذلك من ان كريل لم يرسم شيئا فى اللوحة اثناء

زيارتها الاولى ، ولا شك انه كان هناك ما يشغلهما فى حديقة القصر من مهمة الرسم !

ولكن تلميذتى انجيلا ، والحمد لله ، لم تلحظ شيئا من هـذا كله ، فقد كانت من ناحية الانوثة ، اقل كثيرا من سنها ، ولم يكن يهمها الا اللعب والمرح والدعابات والقراءة ..

اما الزا جرير ، فكانت فتاة تافهة التفكير ، سوقية الطبـاع ، لا يهمها فى الحياة الا مظهرها أمام الناس واعجاب الرجال بها

واعتقد ان مسز كريل كانت تبذل كل جهـدها لتخفى آلامهـا النفسية عن انجيلا حتى لا تظلل سعادة الفتاة الصغيرة بأى ظل من الالم والتعاسة ..

وعادت الزا جرير الى لندن .. وشعرنا حينئذ كأن كابوسا ثقيلا قد ازيح عن اكتافنا ، فقد كنا جميعا ، حتى الخدم ، نشعربالكراهية لها .. اذ كانت من الاشخاص الذين يطالبون بالكثير دون أن يكلفوا انفسهم القاء كلمة شكر

وسافر المستر كريل بعدها ببضعة أيام .. وقد شعرت بالالم من اجل مسز كريل .. فقد كانت المسكينة تتعذب فى صمت من تصرفات زوجها ، ولكننا ، هى وانا ، رجونا ان يعود امياس من لندن وقد نفض يديه من هذا الحب الجديد ..

ولكنه ، للاسف ، عاد معها .. مع الزا .. وبدأ يرسم اللوحة فى حماس جنونى ، ولكنى مع هذا ادركت ان علاقته بهذه الفتاة لن تكون كنزواته السابقة مع النساء ..

وبلغت الازمة ذروتها عندما تمادت هذه الفتاة ، الزا ، فى وقاحتها وجرأتها ، وصارحت كارولين بعزمها على الزواج من كريل !

ورغم ان كريل كان غاضبا على صراحتها هذه ، فانه لم يستطع ان ينكر او يتراجع ، وأعلن لزوجته أن ما قالته الزا هو الحقيقة

ولم اشهد فى حياتى موقفا مخجلا كهذا بين زوج وزوجته

لقد تمنيت فى تلك اللحظة أن يعاقب امياس كريل عقابا الهيا ، جزاء ما ارتكبه فى حق زوجة نبيلة كريمة متفانية ..

وبعد هذا المشـهد العاصف .. حاولت أن أواسى كارولين ، فقالت لى :

— على كل حال يجب ان نتصرف فى حياتنا كالمعتاد ، وكأن شيئا

لم يحدث .. والدليل على هذا اننا سنذهب لشرب الشاى فى بيت ميرديث بليك حسب الموعد المتفق عليه ..

« اعتقد يامسز كريل انك سيدة رائعة مدهشة »

« الحقيقة ، انك لا تعرفين ... »

ثم غادرت الغرفة ، ولم تلبث أن عادت وقالت :

« انك يامس ويليامز مخلصة . لالتمس من وجودك بجانبى الراحة والعزاء »

وذهب جميعهم الى منزل المستر ميرديث بليك ، ثم عادوا فى نحو السادسة مساء

ولم استطع الانفراد بمسز كريل فى تلك الليلة .. ولكنى اذكر انها كانت هادئة اكثر مما كنت أتوقع ، وقد أوت الى فراشها فى ساعة مبكرة ، لقد كانت تتعذب فى صمت ..

وانتهت جلسة المساء بمشاجرة عنيفة ، مضحكة ، بين انجيلا وامياس كريل بشأن الحاقها بالمدرسة ، ولم يكن هناك ما يدعو امياس الى اثارة هذا الموضوع بعد أن تمت جميع الترتيبات لذهاب انجيلا الى المدرسة .. وقد بلغ من سخط انجيلا انها القت بثقالة ورق على امياس ، ثم أرسلت عليه وابلا من الدعوات الشريرة ، واندفعت الى غرفة نومها باكية

▭

وفى صباح اليوم التالى ، وكان يوما جميلا مشرقا ، وجدت ، بعد طعام الافطار ، جونلة انجيلا ملقاة فى غرفتها ، ممزقة فحملتها ورحت ابحث عنها لاجعلها ترتقها ، حتى تتعود على النظام والترتيب وترتق ملابسها بنفسها ، وقد بلغت فى بحثى عنها مزرعة المستر ميرديث بليك ، لانى كنت أعلم أن انجيلا تعودت أن تعبر الخليج بأجد الزوارق بمفردها وتذهب الى هناك لتأكل بعض ثمار التفاح الناضجة .. ولما عدت دون أن أعثر عليها ، رأيت مسز كريل مع المستر فيليب والمستر ميرديث فى شرفة القصر ، وكانت مسز كريل تقترح أن ترسل الى الاخوين بعض البيرة المثلجة ، وقد ذهبت مع مسز كريل الى الثلاجة الموضوعة فى غرفة صغيرة بالطابق الاول ، وهناك رأينا انجيلا تتناول من الثلاجة زجاجة بيرة ، وكان يبدو على وجهها انها ارتكبت شيئا .. وقد قالت لها مسز كريل :

اريد زجاجة بيرة مثلوجة لأمضي بها الى امياس »

وامسكت انا بانجيلا وعنفتها على هربها منى طوال فترة الصباح : وطلبت منها أن ترتق الجونلة : والعجيب انها استسلمت لتعنيفى فى خضوع واستكانة .. ولم تكن هذه طبيعتها .. ولكنها كانت مدركة خطاها ، وكان واضحا على وجهها هذا الادراك

ولما سألتها اين كانت ؟ قالت انها كانت تسبح فى الخليج ، فقلت لها اننى لم ارها هنـــــاك ، فضحكت وتناولت الجونلة ووعدت باصلاحها فورا ..

وحل موعد الغداء .. ولم يحضره كريل ..

وبعد الطعام وشرب القهوة ، قررت ان اذهب لاستحضار صديرية انجيلا التى تركتها على الشاطىء بعد سباحتها مع المستر فيليب بليك .. وذهبت فى الممر مع المسز كريل التى قالت انها ذاهبة لتنظر فيما اذا كان زوجها محتاجا الى شىء .. ولكننى ما كدت اتجاوز باب حديقة البحر ، حتى سمعت صيحتها وهى تنادينى ، فأسرعت اليها حيث رأيت امياس جثة هامدة فوق المقعد بجانب حامل الرسم ، وطلبت منى مسز كريل ان استدعى طبيبا ، فغادرت الحديقة الى الممر مسرعة ، وعندئذ التقيت بمستر ميرديث بليك فكلفته بمهمة استدعاء الطبيب ، وعدت الى مسز كريل وانا اشعر انها أحوج ماتكون الى من يقف بجانبها فى تلك اللحظة

تلك هى قصتى ..

ولكن الشىء الذى اخفيه عن الجميع ، حتى عن مسز كريل نفسها ، هو اننى رايتها ، عند عودتى الى الحديقة بعد ان كلفت ميرديث بليك بمهمة استدعاء الطبيب ، أقول رأيت مسز كريل منهمكة فى ازالة بصمات الاصابع بمنديلها عن زجاجة البيرة ، ثم اذا هي تمسك بيد زوجها الميت وتضغط بأصابعه على الزجاجة .. كل هذا وهى متحفزة ، ترهف السمع ، والخوف الشديد يبدو على وجهها

هذه هى الحقيقة التى اخفيتها عن الجميع ، وهذا هو السبب الذى جعلنى أومن تماما بأن كارولين قتلت زوجها ، ومع ذلك فانى التمس لها العذر ، واحمل لها فى نفسى كل عطف واشفاق ، ويهمنى ان تعرف كارلا هذه الحقيقة ايضا ، وذلك لكى تستريح وتنسى المأساة تماما

الفصل الثانى عشر

انجيلا وارين مرة أخرى

عزيزى المسيو بوارو ..

اننى أبر بوعدى لك ، وأكتب اليـك بكل ما يتعلق بذاكرتى عن مأساة أختى كارولين وزوجها أمياس . والواقع أننى لم أكن أعرف ضآلة ما أذكره الا بعد أن بدأت الكتابة ..

ان ذكريات ذلك الصيف كانت غامضة ..وأحداثه كانت متفرقة .. وقد جاء مقتل أمياس كضربة أصابت حيـاتى من حيث لا أدرى أو أتوقع .. ذلك أنى كنت غافلة عما كان يجرى حولى من عواطف وتيارات انسانية خفية ..

ولست أدرى هل فتيات الخامسـة عشرة كلهن هـكذا .. يعشن لأنفسهن ، ولا يكدن يدرين تماما بما يجرى حولهن من مثل هـذه التيارات العاطفية الخفية !

كنت مهتمة فقط باللعب ، والسباحة ، وتسلق الاشجار لاقتطاف الفاكهة ، واطعام الجياد ، وتدبير المقالب للخادمات ، وأحيانا لأمياس كريل نفسه ..

وكنت عدا هذا مشغوفة بقراءة الكتب والروايات والمجلات

ولعلك تسألنى عن شعورى نحو كارولين وأمياس فى ذلك الحين .. حسنا .. كان شعورا طبيعيا ... كنت أحب أختى كارولين كأعظم ما يكون الحب بين أخت وأخت .. شقيقة أو غير شقيقة ، وكنت أميل الى أمياس .. وأحبه كأخ أكبر .. أو كوالد ، وذلك رغم المشادات العنيفة التى كانت تقع بيننا كلما تمادى فى اغاظتى واثارتى

ولكنى ، فى الوقت نفسـه كنت أغار على أختى منه ، وقد ادركت الآن أنه كان أيضا يغار على زوجته منى

وعلى الجملة لم أكن أفكر فيهما أو فى علاقتى بهما ٠٠ وانما كنت أشعر بهما كما يشعر الانسان بأهله وذويه

ولما أقبلت الزا فى أولزيارة ، لم أحفل بها أو أشغل نفسى بأمرها ٠٠ فقد بدت لى من اللحظة الاولى أنها سوقية ، جاهلة ، بل انى لم أفكر فى أنها جميلة ٠٠ وانما كل ما شعرت به نحوها أنها فتاة ثرية مثيرة للملل والنفور

ولم أعرف فى الواقع حقيقة العلاقة بينها وبين أمياس الا أثناء زيارتها الثانية ، الطويلة ، للقصر ٠٠ وقد كنت فى الشرفة بعد الغداء يوما حين سمعتها تتحدث مع أمياس فى غرفة المكتبة عن موضوع زواجها به ٠٠٠ وقد بدا هذا التصريح عجيبا غريبا ، ومن ثم انتهزت أول فرصة وسألت أمياس كريل فى حديقة بيت ميرديث بعد الفراغ من تناول الشاى ، قائلة : « لماذا تقول الزا انها ستتزوج بك ؟ ان هذا مستحيل ، فلا يمكن للرجل أن يتزوج باثنتين ، ان هذا مخالف للقانون والشريعة أليس كذلك ؟ »

فغضب أمياس وقال بحدة : « كيف سمعت هذا بحق الشيطان؟»

« سمعتها وهى تحدثك فى غرفة المكتبة »

فازداد غضبا ، وقال ان الأوان قد آن فعلا لالحاقى بالمدرسة،وأنه سيلحقنى بها فى أقرب فرصة حتى لا أسترق السمع - فقلت له بغضب اننى لم أكن أقصد أن أسترق السمع ، وأنه يتهمنى بهذا ظلما • وأخيرا ابتسم ، وقال ان ماسمعته لايعدو أن يكون دعابة من جانب الزا

وقلت لالزا ونحن فى طريق العودة الى المنزل بعد انتهاء زيارتنا للمستر ميرديث بليك : « لقد سألت أمياس عن معنى قولك له انك ستتزوجين به ، فقال ان الامر لايعدو أن يكون دعابة »

وكنت أريد أن أغيظها وأثيرها٠٠٠ولكنها ابتسمت ، ولم تعجبنى ابتسامتها

وذهبت الى كارولين فى غرفتها حيث كانت تستعد للهبوط الى طعام العشاء ، وسألتها هل يمكن أن يتزوج أمياس بالزا ، وانى لأذكر اجابتها الحاسمة الاكيدة وكأنى أسمعها الآن : « ان أمياس لن يتزوج من الزا ، أو من غيرها الا بعد وفاتى »

وهدأت اجابتها هذه من مخاوفى ، وأعادت الاطمئنان الى نفسى

ولكنى بقيت ساخطة على أمياس،وهكذا انتهزت فرصةاثارته لموضوع المدرسة ، فتشاجرت معه بعنف ، وصببت على رأسه مجموعة من الدعوات.، ثم اندفعت باكية الى غرفة نومى

ولست أذكر شيئا كثيرا مما حدث فى صباح اليوم التالى ، قبل المأساة ٠٠ أذكر فقط أني تجولت هنا وهناك ، وسبحت فى الخليج ، ولكنى أذكر تماما اسراع ميرديث الى الشرفة فى اهتيـــاج قائلا ان أمياس مات ، وأذكر انفعال الزا وسقوط قدح القهوة من يدها وهى تطلق صيحة رهيبة ، ثم تعـدو بسرعة عجيبة فى الممر الى حـديقة البحر ، وكنت أردد لنفسي : « مات أمياس ٠٠٠ مات أمياس » دون أن أشعر بأن ماحدث حقيقة وليس حلما أو خيالا

وأذكر أن القصر بعد ذلك ازدحم بأشخاص غرباء كثيرين ، وأنهم رفضوا أن أذهب لأرى أمياس وهو ميت ، ولكنى أسرعت الى كارولين فى غرفتها حيث كانت راقدة على الاريكة ، ممتقعة ، مريضة ، فلمـا رأتنى قبلتنى وطلبت مني أن أسرع بالابتعاد عن مسرح المأساة لأن مثل هذه الامور جد رهيبة بالنسبة لفتاة صـغيرة مثـلي ، ولكنى لم أكن مهتمة الا بحالة أختى ، وأخيرا أرســلونى الى حيث كانت تقيم كارلا الصغيرة مع جدتها الليدى تريسليان

ولست أنسى كيف ودعتنى كارولين فى حب وحنان وهى تطلب منى فى رجاء ولهفة ألا أفكر فى الامر ، والا أحزن أو أقلق٠٠وكذلك لست أنسى اسئلة رجال البوليس لى قبل رحيلى ٠٠ ولكنهم لم يلحوا فى القاء الاسئلة على ٠٠ فقد كانت الجريمة ، بالنسبة اليهم واضحة كل الوضوح ٠٠

وهكذا لم يجد المسئولون سببا يمنعهم من التصريح لى بالذهاب الى الليدى تريسليان للاقامة معها حتى تنتهى المحاكمة

واستقبلتنى الليدى تريسليان فى حب وعطف واشفاق٠٠وبرغم حرص الجميع على اخفاء الحقيقة عنى ، فقد علمت أن رجال البوليس ألقوا القبض على أختى كارولين ، وأذكر أنى مرضت من فرط الفزع والحزن

وسمعت فيما بعد أن أختى كانت ، بعد القبض عليها ، شـــديدة القلق بشأنى ، وأنها هى التى أصرت على ترحيـلى الى خارج انجلترا قبل المحاكمة ٠٠

وقد أخبرتك بهذا كله

ومرة أخرى أقول اننى واثقة تماما بأن أختى لم ترتكب هـــذه الجريمة ، أقول واثقة ، ولكننى لا أستطيع أن أقدم الدليل المادى على براءتها !

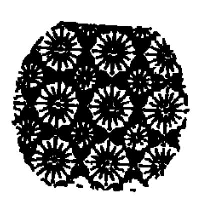
فليرحمها الله ...

□

والآن ... ما رأى السادة القراء ؟

لقد وضعت المؤلفة بين ايديهم جميع الحقائق والملابسات المحيطة بالجريمة... انها لم تخف عنهم شيئا... فهل يمكن أن ينتصر بعضهم، أو كلهم ، عليها فى هذه المباراة الممتعة ويعرفوا الحقيقـة التى وصل اليها بوارو ؟

لقد وصل بوارو الى الحقيقة ، بعد حصوله على هذه المعلومات التى وردت فى الصفحات السابقة !



الفصل الثالث عشر

وبعد !!

رفعت كارلا لامرشـانت ، ابنة كارولين وكريل ، رأسـها عن الاوراق الموضوعة أمامها ، التى تحكى مأسـاة والديها فى تفصـيل ووضوح ، ثم قالت بصوت متعب :

ـ لقد ازددت حيرة فوق حيرتى ، فان كل واحد من هؤلاء ينظرالى أمى من زاوية مختلفة ، ولكن الحقائق واحدة... وكلهم متفقون عليها!

ـ هل ثبطت قراءتك لهذه التقارير من عزيمتك ؟

ـ نعم ... وأنت ؟

ـ لا ... لقد وجدت فى هذه التقارير كل ما أردت العثور عليه

ـ ولكنى اتمنى لو أنى لم أقرأها ، فقد اصبحت الآن موقنـة بادانة أمى

فنظر بوارو اليها برهة ، ثم قال :

ـ أهكذا ؟

ـ نعم ، انهم جميعا يعتقدون أن أمى مدانة ، فيما عدا انجيـلا ، ولها العذر ، فهى أختهـا ، أما ميرديث ، فهو يحاول أن يخفى ادانة أمى على غير جدوى .. وكذلك لم تستطع انجيلا ، رغم ذكائها وقوة تفكيرها ، أن تقدم لنا سببا واحدا يبرر ايمانها ببراءة أمى

ـ أهذا هو ما استقر عليه رأيك بعد قراءة هذه التقارير ؟

ـ نعم ، وليس من شك فى أن هؤلاء الاشخاص الخمسة قدأجمعوا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، على ادانة أمى ، لأنها اذا لم تكن هى

التى ارتكبت الجريمة ، فلا بد أن يكون مرتكبها واحدا منهم

فابتسم بوارو وقال :

ـ آه ... هذا رأى مثير ، وهل يمكن أن توضحيه لى ؟

ـ أستطيع فقط أن أقدم اليك احتمالات لادليل عليها ، فمثلا فيليب بليك : انه سمسار مالى ، وكان من أخلص أصدقاء أبى . ومن المحتمل أن يكون أبى قد أقرضه أو أودع لديه مبلغا ضخما ، والمعروف أن الفنانين مستهترون دائما من الناحية المالية ، ولعل فيليب ، تحت ضغط ظروف طارئة ، كان قد ضيع المال الذى اؤتمن عليه ، ولعله قد جعل أبى يوقع على شىء ، ثم تطورت الاحوال وخشى فيليب من الفضيحة ، التى لا نجاة منها الا بموت أبى ، هذه بعض الافكار التى دارت برأسى عن هذا الاحتمال

وأومأ بوارو برأسه وقال :

ـ لا بأس ، والاحتمال الثانى ؟

ـ وهناك الزا جرير ... انها فتاة لا تتورع عن أى شىء ، ولعلها تكون قد اختلست السم لكى تقتل به أمى حين أيقنت أنها لن توافق على الطلاق من أبى بأية حال من الاحوال .. وفتاة مثل الزا لاتقبل أن تعيش على هامش حياة رجل متزوج الى ما لا نهاية .. انها لا ترضى بأقل من الزواج من هذا الرجل الذى تحبه ، ومن ثم فهى لاتكف عن الحديث عن الزواج والمستقبل .. أقول انها اختلست السم لتقتل به أمى ، فكانت النتيجة أن مات أبى بسبب خطأ ارتكبته دون أن تدرى

وابتسم بوارو وقال :

ـ وهذا احتمال لا باس به أيضا ، والثالث ؟

ـ ميرديث ...

ـ ميرديث بليك ؟

ـ نعم ...

ـ حتى ميرديث بليك أدخلته فى نطاق احتمالاتك ؟

ـ ولم لا ؟ هل يوجد انسان فى هـذه الدنيا معصوم من ارتكاب جريمة قتل ؟ انه يبدو لى من النـوع الذى لايتردد كثيرا فى ارتكاب

جريمة قتل ·· فهو ضيق التفكير ، محدود الخيال ، بطيء ، متردد ، موضع ضحك وسخرية الغير ، ولعله،في أعماق نفسه،يشعر بالسخط على هذا كله ·· ثم تزوج أبى الفتاة التى كان ميرديث يتمنى الزواج بها ·· ونجح أبى فى حياته وظفر بالمال والشهرة ·· وعمد ميرديث للتنفيس عن كبته النفسى الى هــذه الهواية الخطرة فى اسـتخراج العقاقير والسموم من النباتات والاعشـــاب ·· ولعله شغف بهــذه الهواية لأنه كان يتمنى ، فى قرارة نفسه ، أن يقتل شخصا ما ذات يوم ·· ولعله لفت أنظار الجميع الى سرقة السم حتى يبعد عن نفسه كل شبهة ·· ولكن الواقع هو أنه أقرب الناس الىأخذالسم من معمله بنفسه ·· بل لعله أراد ، أيضا ، أن يرسل بأمى الى حبل المشنقة جزاء تفضيلها أبى عليه ·· ولعله كان يقصــد التعبير عن نفسه فى كتابته عن الاشخاص الذين يرتكبون أشياء لم تكن متوقعــة منهم ، وذلك عندما حاول أن يعلل يقينه بأن أبى مات منتحرا ··

ــ انك على صواب فى هذه الناحية ·· وهو أنه ليس من المحتم أن يكون كل ما كتبه الواحد منهم حقا لا شائبة فيه ·· فلعل بعضهم عمد الى كتابة أشياء لتضليلنا عن الحقيقة

ــ ان هذا هو أملى الاخير ، الوحيد ··· ان كان ثمة مجال للامل بعد هذا كله !

ــ هل هناك احتمالات أخرى ؟

ــ خطر فى بالى أن مس ويليامز قد تكون هى القاتلة حتى لاتفقد وظيفتها ·· ولكنى أستبعد هــذا الاحتمال تماما ·· فاذا كان بعض الناس يفقدون عقولهم ويرتكبون جرائم قتل بسبب قليل من المال، فان مس ويليامز ، كما يبدو لى من حــديثك عنها ، ومن مذكراتها ، ليست بالسيدة التى تهتم بالمال الى حد ارتكاب الجرائم فى سبيله ·· لا ·· لم يبق أمامى الا أن أســتسلم للامر الواقع ·· فان هــذه الاحتمالات كلها تكاد تكون فى حكم المستحيل ·· نعم ·· لقد آمنت الآن أن امى ليست بريئة كما اظن ، وانه لم يبق امامى الا ان افسخ خطبتى

وتهدج صوت كارلا قليلا ، وهى تستطرد قائلة :

ــ نعم ·· لا تتعجب يامسيو بوارو ·· اننى لا أستطيع أن أتزوج

وهذا السيف الرهيب مصلت على رأسى ·· لا أستطيع أن أحتمل أن ينظر الى الرجل الذى أحبه فى شىء من الخوف والحــذر اذا تشاجرنا يوما ·· خير لى ، أنا الابنة الوحيدة للرسام كريل الذى قتلته زوجته ·· أمى ·· أن أهجر العالم ، واقضى ايامى فى الدير ، استغفر الله لهما ، وأقطع ، بموتى ، تسلسل ذريتهما على سطح هذه الارض ··

فنظر اليها بوارو برهة ، ثم قال :

ــ اذن فقد اقتنعت أخيرا بالحقيقة ؟

فازداد صوتها تهدجا وقالت :

ــ نعم ·· وانى مقدرة لك كل ما بذلت من جهد فى هذا السبيل، ولن أضن عليك بأى قدر من المال مكافاة لك

فنظر بوارو اليها مرة أخرى ، ثم هز رأسه وقال :

ــ ان مكافأتى الحقيقية هى العمل على تبرئة سيدة مظلومة !

ــ ماذا تعنى ؟

ــ أعنى أنك تريدين أن تخرجى من المعركة فى اللحظة التى وضحت لى فيها الحقيقة كاملة ··

ــ لست أفهم تماما ماذا تعنى يامسيو بوارو ··

ــ أعنى أننى ــ هيركيول بوارو ــ قد عرفت من تحــرياتى مع الاشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة ، ومن كتاباتهم ، أن والدتك كانت مظلومة !

فهزت كارلا رأسها فى يأس وقالت :

ــ أتقول هذا بعد أن ذكرت مس ويليامز بوضوح أنهــا شاهدت أمى وهى تزيل بصمات أصــابعها من زجاجة البيرة ، وتطبع عليهــا بصمات أبى وهو ميت ؟

وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة :

ــ لو أن الذى ذكر هذه الحقيقــة شاهد آخر ، لاتهمته بالكذب ، ولكن مس ويليامز كانت تحب أمى حتى آخر لحظة ، وقد وقفت فى صفها ، وأخفت هذا الدليل الحاسم عن القضاة ، فهل يمكن أن نشك فى أقوالها ؟

فقال بوارو :

ــ اننى آخر من يشك فى أقوال مس ويليامز في هذا الشأن بالذات !

ــ عجبا !..

وعندئذ نهض بوارو وقال :

ــ اسمعى يامس كارلا ، ان رؤية مس ويليامز لأمك ، هى تزيل بصمات أصابعها عن زجاجة البيرة ، لتطبع عليها بصمات أصابع أبيك ، هى الدليل الحاسم ، الذى جعلنى أومن بأن أمك لم ترتكب هذه الجريمة !

ثم غادر الغرفة .

وظلت كارلا واقفة تشيعه بنظراتها فى ذهول ودهشة وعجب



الفصل الرابع عشر

بوارو يسأل

ذهب هيركيول بوارو الى فيليب بليك وقال له فى هدوء ورقة :
ـ لقد جئت لأشكر لك ما بذلته من جهد فى كتابة ذكرياتك عن مأساة صديقك امياس كريل ، الواقع انك أوضحت لى كثيرا من النواحى التى كانت غامضة

فقال فيليب ، وهو يشعر بالرضا عن نفسه :

ـ الواقع انى دهشت حين وجدت الذكريات تنهال بسرعة وقوة ، بمجرد أن بدأت الكتابة !

ـ نعم .. نعم .. ولكن هذا لا يمنع من القول انك لم تذكر كل شيء !

فقطب بليك جبينه وقال :

ـ لم اذكر كل شيء ؟

فقال بوارو :

ـ ان روايتك لما حدث تمتاز بالصراحة والوضوح ... ولكن !

ثم أردف بوارو فى صوت لا يخلو من جفاف :

ـ لقد قيل لى يامستر بليك ان مسز كريل شوهدت ، مرة واحدة على الاقل ، وهى تخرج من غرفتك فى ساعة متأخرة من الليل !..

وخيم الصمت على الغرفة ، وراح فيليب بليك ينظر فى حيره وغضب ودهشة الى بوارو ، ثم قال أخيرا :

ـ من قال لك هذا ؟

فهز بوارو راسه وقال :

— ليس من المهم أن تعرف من الذى اخبرنى ، ولكن المهم هو انتى اعرف هذه الحقيقة

ومرة اخرى خيم الصمت ، وبدا فيليب فى سمت الرجل الذى يقرر فى نفسه امرا ، واخيرا قال :

— يبدو انك عرفت مسالة خاصة عن طريق المصادفة ، وايا كان الامر ، فانى اجد نفسى مضطرا لأن اخبرك بالحقيقة .. الحقيقة التى حاولت اخفاءها من سطور حكايتى

وهز كتفيه ثم اردف قائلا :

— اننى لا انكر شعورى العدائى نحو كارولين ، ولكنى ، فى الوقت نفسه ، كنت مفتونا بها ، ولعل هذه الحقيقة هى التى دفعت بعضهم الى اخبارك بهذا الذى قلته لى الآن ، وهذه الحقيقة أيضا هى التى كانت تجعلنى اشعر دائما بالثورة على نفسى وعلى خضوعى لجاذبيتها ، ومن ثم كنت دائما احاول أن اتلمس لها الاخطاء واضخم لها العيوب حتى تصغر فى عينى ، وتخف وطأة سحرها على . وأرجو ان تفهم اننى لم احبها يوما هذا الحب الروحى المقدس ، وانما كنت مفتونا بجاذبيتها ، وكنت أخشى فى اية لحظة ان أهبط بمشاعرى فأراودها عن نفسى .. وجملة الحقيقة هى اننى احببتها وانا فى ميعة الصبا والشباب ، ولكنها لم تكن تبالى بى ، أو تشعر بوجودى ، وقد عشت حياتى كلها وانا لا اغفر لها هذا الموقف

وصمت فيليب برهة قبل ان يستطرد قائلا :

— وحانت فرصتى عندما استغرق امياس الى اذنيه فى حب هذه الفتاة الزا جرير ، واذا انا اجد نفسى أصارح كارولين بحبى لها ، واذا هى تقول بهدوء : «نعم يافيليب ، لقد كنت أعرف دائما انك تحبنى ! » فيالها من امراة رهيبة ، كانت تعرف دائما انى احبها دون ان تحفل بأمرى ، أو تهتم بمشاعرى !

ومرة اخرى صمت فيليب وقد بدت اشد امارات الحقد على وجهه ، ثم استأنف حديثه قائلا :

— نعم .. كنت أعرف أنها لم تشعر بالحب نحوى يوما .. ولكنى لاحظت بوضوح مبلغ ما كانت تشعر به من قلق وسخط وغضب وثورة بسبب موقف امياس من تلك الفتاة الزا .. واذا استبدت مثل هذه المشاعر بالزوجة فمن السهل التغلب على مقاومتها ..

وهكذا رضيت بزيارتي ليلا في غرفتي بالقصر .. وجاءت ولكنني ما كدت أحيطها بذراعي حتى تخلصت مني وقالت بهدوئها القاتل انه لا فائدة من هذا كله .. وانها امرأة رجل واحد ، امرأة اذا احبت رجلا ، فلن تستطيع أن تحب غيره مهما يكن الحال ، وانها ستبقى على حب امياس سواء بقى زوجا لها او تزوج من غيرها . ثم اعترفت انها عاملتني بقسوة واساءت الى بقبولها الحضور الى غرفتي ، ثم امتناعها علي . واعتذرت بأنها لا تملك من أمر قلبها شيئا ، وطلبت مني أن أصفح عنها ، ثم انصرفت عني ، فهل تعجب بعد هذا يا مسيو بوارو اذا قلت لك ان كراهيتي لكارولين قد بلغت الذروة ، وانني لم أصفح عنها أو اغفر لها هذه الاهانة التي وجهتها الى عواطفي ، هذا عدا قتلها لاخلص صديق الى

وارتعد فيليب فجأة ، وقال بعنف :

ـ انني لا اريد الافاضة في هذا الحديث ، لقد أجبت على سؤالك، فهلم انصرف عني !

□

وذهب بوارو للمستر ميرديث بليك وقال له :

ـ أرجو يامستر ميرديث بليك أن تذكر لي ترتيب خروج ضيوفك من غرفة المعمل في ذلك اليوم

فاحتج ميرديث قائلا :

ـ ولكن ، كيف استطيع ان اتذكر هذا يا مسيو بوارو ، بعد مرور ستة عشر عاما ؟ يكفي اني قلت لك ان كارولين كانت آخر من غادر الغرفة

ـ هل انت واثق من هذا ؟

ـ نعم ... على الاقل

ـ هلم نمضي الى غرفة المعمل لتستعيد ذكرياتك ، فاننا نريد أن نتأكد

وهناك في غرفة المعمل ، قال بوارو :

ـ والآن يا مستر بليك ، لقد حدثت ضيوفك عن هوايتك ، ثم بدأوا ينصرفون . اغمض عينيك وحاول أن تتذكر ترتيب خروجهم

واطاع ميرديث ، واغمض عينيه ، وتناول بوارو منديل جيبه ، وراح يلوح به أمام وجهه ، وغمغم ميرديث وهو يستنشق الرائحة المنبعثة من المنديل :

ـ نعم .. نعم .. عجيب أن تتضح الذكريات امام ذهنى هكذا ، انى اتذكر كارولين ، كانت ترتدى ثوبا فى لون القهوة الخفيفة ، وكان فيليب يبدو ملولا ، هكذا كان دائما كلما سمعنى اتحدث عن هوايتى

وقال بوارو :

ـ تذكر الآن ، انكم توشكون على مغادرة المعمل الى المكتبة ، لتقرأ عليهم الفصل الخاص بموت سقراط ، فمن الذى غادر الغرفة اولا ؟

ـ الزا وأنا .. نعم .. لقد اجتازت الباب اولا وأنا وراءها .. كنت أواصل الحديث معها ، ثم وقفنا خارج الباب ننتظر خروج الباقين حتى اغلق الباب بالمفتاح .. فيليب .. نعم غادر فيليب الغرفة بعدنا ، ثم .. انجيلا ، ثم امياس .. وبقيت انتظر خروج كارولين

ـ اى انك واثق تماما بأنها كانت آخر من غادر الغرفة ، فهل رايت ماذا كانت تفعل بها ؟

ـ لا .. لقد كنت واقفا وظهرى الى الباب أتحدث الى الزا واثير ، ـ ولا شك ـ الملل فى نفسها بحديثى..ثم أقبلت كارولين.مسرعة واغلقت الباب بالمفتاح ..

وتوقف عن الحديث ، وفتح عينيه ، ورأى بوارو وهو يعيد المنديل الى جيبه ، وتشمم الهواء برهة ، ثم قال لنفسه : « عجبا .. ان الرجل يضع فى منديله عطرا »

ثم قال بصوت مسموع :

ـ انتى واثق من هذا الترتيب .. الزا أولا .. ثم انا .. ثم فيليب .. ثم انجيلا .. ثم امياس .. وأخيرا كارولين .. فهل هذا يوضح شيئا ؟

فقال بوارو :

ـ نعم ، يوضح كل شىء ، اسمع يا مستر بليك ، اننى سادعو الباقين للاجتماع هنا ، فى هذه الغرفة ... فهل لديك اعتراض ؟

ـ لا ... مطلقا ، ولكن لماذا ؟

ـ لنعرف الحقيقة كلها !

▭

ثم ذهب الى الزا وسألها :

ـ ارجو ان تسمحى لى بالقاء سؤال واحد يا ليدى ديتشام :

ـ اسأل ...

ـ بعد ان انتهى كل شيء ، بعد المحاكمة وصدور الحكم ، هل طلب ميرديث الزواج منك ؟

فحدقت الزا ديتشام النظر فى وجه بوارو ، ثم ارتسمت على وجهها امارات السأم والاحتقار ، وقالت :

ـ نعم ، طلب أن أتزوج به . . . ولكن لماذا تسأل ؟

ـ وهل ادهشك هذا الطلب ؟

ـ ادهشنى ؟ اننى لا اتذكر !

ـ بماذا اجبته عليه ؟

ـ بماذا تظن انى سأجيب عليه ؟ أيعقل ان اتزوج ، بعد غرامى بأمياس ، برجل مثل ميرديث ؟ ان هذا الامر يثير السخرية والضحك، لقد كان أحمق فى طلبه الزواج بى ، وهو دائما غبى احمق

وابتسمت فى شحوب وقالت :

ـ لقد اراد ان يحمينى ويرعانى ، هكذا قال ، ظن ان الرأى العام كله ضدى ، وانه لم يعد لى مجال للحياة فى هذا البلد .. ولكن المسكين لم يكن يعرف انى كنت أستمتع بما حدث ، ولم يكن يهمنى راى الغوغاء عنى !

وضحكت الزا مرة أخرى عاليا !

□

واجابت مس ويليامز على سؤال بوارو بشأن اصابة انجيلا على يد أختها قائلة :

ـ لمست انجيلا ذات يوم خدها المشوه ، وقالت : « ان كارولين هى التى فعلت هذا ، ضربتنى بثقالة ورق وانا طفلة صغيرة جدا ولكن ، لا تشيرى الى هذا الموضوع امامها لانها تضطرب جدا كلما تذكرته »

فقال بوارو :

ـ ولكنى سمعت ، أو عرفت ، اثناء تحرياتى انها ضربتها بقضيب حديدى

ـ اننى لا اعرف عن هذا شيئا

ـ الم تشر مسز كريل ذات مرة الى هذا الموضوع فى احاديثها معك ؟

ـ كانت تشير اليه بطريقة غير مباشرة ، على اساس اننى أعرف

كل شيء عنه ، واذكر انها قالت لى مرة : « أنا أعرف ، انك تظنين انني افسد انجيلا بتدليلى لها واسرافى فى تلبية رغباتها ، ولكنني اشعر دائما بأنني مهما فعلت لها ، فلن أستطيع أن أعوضها عن تشويهي لوجهها » . وقالت فى مناسبة أخرى : « ليس هناك عذاب اشد من احساس الانسان بأنه السبب المباشر فى اصابة شخص آخر بعاهة مستديمة »

فقال بوارو :

ـ شكرا يا مس ويليامز ، هذا هو كل ما اردت أن أعرفه !

فقالت مس ويليامز بحدة :

ـ انني لا افهمك يا مسيو بوارو ، ألم تطلع كارلا على تقريري عن المأساة ؟

ـ نعم ... اطلعتها

ـ ومع ذلك مازلت تعتقد أن ...

فقاطعها بوارو قائلا :

ـ ان الظواهر كثيرا ما تكون خادعة !

ـ ولكن الحقائق لا يمكن ..

ـ انك قد ترين باقة من الورد الاحمر العاطر فى غرفة استقبال احد الاغنياء فى شهر يناير ، فتحسبينها ورودا اصطناعية ، بينما هى ، فى الواقع ، حقيقية جيء بها فى الطائرة من جنوب افريقيا !

ـ ولكن ما دخل هذا اللغو كله فى موضوعنا ؟

ـ اريد ان ابين لك أن الانسان فى الحقيقة يرى بعيني عقله !

وانصرف بوارو ، تاركا مس ويليامز اشد ما تكون حيرة ازاء هذه الالغاز !

▭

واستقبلت انجيلا وارين هيركيول بوارو فى مودة وترحاب ، وقالت :

ـ هل استطعت ان تكتشف جديدا فى الموضوع ؟

فأومأ بوارو برأسه وقال :

ـ يمكنني ان اقول انني فى الطريق الى الحقيقة اخيرا ...

فتساءلت قائلة بصوت فيه من نبرات الشك اكثر مما فيه من نبرات اليقين :

ـ فيليب بليك ؟

وهز بوارو كتفيه وقال :

ــ انني يا مس وارين لا أريد الآن ان أقول شيئا ، ان الوقت لم يحن بعد لكشف الحقيقة كلها ، وكل ما أرجوه منك أن تتكرمى بالحضور الى منزل مستر مرديث فى ضيعة هاندكروس ... وسيحضر الجميع هناك ..

فقطبت جبينها وقالت :

ــ ماذا تنوى أن تفعل ؟ أتعتقد أن فى مقدورك اعادة الموقف الى ما كان عليه منذ ستة عشر عاما ؟

فأومأ برأسه وقال :

ــ ربما استطعت أن أرى الموقف من زاوية أوضح ... هل ستحضرين ؟

فقالت فورا :

ــ نعم .. ساحضر ، فمن الطريف أن أرى كلّ هؤلاء الناس مرة أخرى بعد كل هذه المدة الطويلة ... ولعلى أراهم ، كما قلت ، من زاوية أوضح

فقال بوارو :

ــ هل ستحضرين معك الخطاب الذى اطلعتنى عليه ، الخطاب الذى أرسلته اليك أختك عقب صدور الحكم عليها ؟

فقطبت انجيلا جبينها وقالت :

ــ ان هذا الخطاب من خصوصياتى ، وقد اطلعتك عليه لاسباب أوضحتها لك ، ولكننى لست مستعدة لان يقرأه أشخاص غرباء لا يفهمون ولا يقدرون

ــ ولكنك ستسمحين لى بتوجيهك فى هذا الموضوع !

ــ انني لن أفعل شيئا من هذا القبيل ، ولكنى سأحضر معى الخطاب على سبيل الاحتياط، فاذا وجدت ما يدعو الى قراءته، فلن أمانع !

فبسط بوارو يديه مستسلما وقال :

ــ اذن اسمحى لى أن ألقى عليك سؤالا واحدا

ــ ما هو ؟

ـ هل كنت تقرئين فى أيام المأساة رواية سومرست موم «القمر وستة بنسات » ؟ (١)

فارتسمت الدهشة البالغة على وجه انجيلا وقالت :

ـ عجبا ! كيف عرفت هذا ؟

فابتسم بوارو وقال :

ـ أردت ان أبين لك انني رجل شديد الذكاء ، أستطيع أن أعرف الاشياء دون ان يخبرني بها أحد !

---

(١) ترجمت روايات الهلال هذه الرواية ونشرتها بعنوان « قلب المرأة »

الفصل الخامس عشر

الاجتماع الأخير

كانت اشعة شمس الاصيل تنساب الى غرفة المعمل من نافذتها الغربية ، وكانت ثمة مقاعد وثيرة قد صفت بها لتستقبل المدعوين للاجتماع !

وكان ميرديث يتحدث الى كارلا فى شيء من الاضطراب ، وهو يعبث بشاربه ، ثم اذا هو يتوقف فجاة ويقول :

ـ أوه ، انك يا عزيزتى تشبهين والدتك فى جوانب كثيرة ، ولكنك تختلفين عنها فى جوانب أخرى

فقالت له كارلا :

ـ فيم اشبهها ، وفيم اختلف عنها ؟

فتردد ميرديث برهة قبل أن يقول :

ـ انك تشبهينها فى لون البشرة ، وفى الحركة ... ولكنك تخالفينها فى انك أكثر واقعية وادراكا لحقائق الحياة منها

وكان فيليب بليك ينظر مقطب الجبين من النافذة الى المروج الخضراء ، وينقر فى ضيق ، وتوتر عصبى على المصراع ، ثم يقول:

ـ ما معنى هذا كله ، ان الجو اليوم رائع ، وكان ينبغى أن نقضى هذه الفترة فى لعب الجولف بدلا من الجلوس فى هذه الغرفة المهجورة

فاسرع بوارو يقول :

ـ أوه ... اننى آسف يا مستر بليك ، حقا ان الجو اليوم رائع للعب الجولف ، ولكن هذه هى كارلا ، ابنة اعز صديق لك ، واعتقد

تماما انك لا تتردد فى تقديم اية مساعدة لها
وعندئذ اقبل الخادم وقال :
ـ حضرت مس وارين ..
ونهض ميرديث لاستقبالها قائلا :
ـ جميل منك يامس وارين أن تشرفينا بالحضور ، رغم مشاغلك الكثيرة فلا شك أن وقتك دائما مشغول بمهام الامور
وسار معها نحو النافذة
ونهضت كارلا وهى تهتف فى سرور :
ـ هـالو خالتى انجيـلا ، قرات مقـالتك فى صحيفة التايمز هذا الصباح ، جميل جدا أن يكون للانسان خالة مشهورة مثلك
ثم اشارت الى شاب طويل ، عريض الفكين ، رمادى العينين ، هادىء السمت وقالت :
ـ هذا هو جون راتيرى ، الذى أرجو أن يتم زواجى به
وتمتمت انجيلا قائلة :
ـ أوه ... لم أكن اعرف ...
ومضى ميرديث لاستقبال مس ويليامز التى بدت عند الباب ، فصافحها فى حرارة قائلا :
ـ أوه مس ويليامز ، لقد انصرمت اعوام عديدة منذ تقابلنا آخر مرة ...
وتقدمت مس ويليامز بجسمها النحيل الطويل، وعينيها المركزتين على بوارو ، ثم اذا هى تلتفت الى الشاب جون راتيرى وتتأمله
واسرعت انجيلا وارين اليها وقالت لها باسمة وهى تصافحها :
ـ تصورى يامس ويليامز أننى اشعر الآن كأنى مازلت تلميـذة أمام مدرستها الحبيبة الحازمة !
فقالت مس ويليامز بصوت ينم عن السرور والحماس :
ـانني جد فخورة بك يا مس وارين ، لقد شرفتنى ورفعت راسى عاليا ، اذ حسب الانسان سرورا ورضاء أن يكون له تلميذة رائعة مثلك
ثم التفتت الى كارلا وأردفت قائلة :

ـ أعتقد أن هذه كارلا ، آه . . . انها لاتذكرنى طبعا ، فقد كانت جد صغيرة

واستدار فيليب بليك وقال متجهما :

ـ ماهذا كله ؟ ان أحدا لم يخبرنى بأن . . .

واسرع هيركيول بوارو قائلا :

ـ آه ، معذرة يا مستر بليك ، اننى اسمى هذا الاجتماع «رحلة الى الماضى » ، تفضلوا جميعا بالجلوس ، وسوف نبدأ الاجتماع بمجرد وصول العضو الاخير ، الليدى الزا ديتشام ، وعندما تصل سوف تظهر الارواح !

فقال فيليب :

ـ ماهذا الهراء يا مسيو بوارو ، هل هى جلسة تحضير ارواح؟

ـ لا . . لا . . ليس هذا ما أعنى ، ولكنى أعتقد ان حديثنا عن الماضى ، وتبادلنا الآراء فيما حدث بشأن تلك المأساة الاليمة ، سيؤدى الى استحضار روح أمياس كريل ، وروح زوجته كارولين فى هذه الغرفة دون أن نراهما ، ولكن من المؤكد اننا سنشعر بهما

فهتف فيليب قائلا :

ـ كلام فارغ !

وتوقف فجأة عن الحديث العنيف حين فتح الخادم الباب وقال:

ـ ليدى ديتشام

واقبلت الزا الى الغرفة فى جرأة ووقاحة واستهتار ، واومأت برأسها فى ابتسامة خفيفة الى ميرديث ، وأرسلت نظرة باردة الى انجيلاوارين ، ثم الى فيليب ، ثم مضت الى مقعد منفرد عن بقية المقاعد ، بالقرب من النافذة ، وخلعت معطفها الفراء الثمين ، ثم تلفتت برهة فى جوانب الغرفة ، هذا بينما كانت كارلا تتأمل هذه المرأة التى كانت السبب المباشر فى وقوع المأساة . . . المأساة التى حرمتها من أبيها ولطخت اسم امها بالجريمة والعار

ولكن لم يكن فى نظراتها أية امارات للحقد والعداء

وقالت الزا فى برود :

ـ اننى آسفة اذا كنت قد تأخرت قليلا يا مسيو بوارو

فابتسم بوارو وقال :

ــ ان مجرد حضورك شرف كبير

واصدرت مس ويليامز من انفها صوتا ينم عن الاحتقار والسخرية، ولكن الزا لم تكترث بشيء من هذا ، وانما قالت موجهة الحديث هذه المرة الى انجيلا :

ــ كدت الا اعرفك يا انجيلا ، كم مضى من السنين على .. على .. آخر لقاء ؟ ستة عشر عاما ؟

وانتهز هيركيول بوارو هذه الفرصة وقال :

ــ نعم ، مضى ستة عشر عاما على هذه الاحداث التى سنتناولها الآن بالشرح والتفصيل ، واحب أولا ان أوضح لكم السبب فى هذا الاجتماع

وفى كلمات قليلة واضحة ، ذكر لهم المهمة التى كلفته بها كارلا لامرشانت، وقبوله القيام بها رغم صعوبة البحث والتحرى عن جريمة وقعت منذ ستة عشر عاما ، وصدر فيها الحكم بالادانة

وكان يتحدث بسرعة ، متجاهلا ثورة الغضب التى كانت تتجمع على وجه فيليب ، وامارات الاشمئزاز التى نم عليها وجه ميرديث

وكأنما كان كل منهما يقول له :« ايها الكاذب الملفق. . . الخبيث ! »

وكان بوارو قد اختتم حديثه قائلا :

ــ نعم .. قبلت القيام بهذه المهمة للبحث عن الحقيقة

▭

وكانت كارلا لامرشانت ، ابنة كريل وكارولين ، جالسة فى مقعد وثير ، تسمع صوت بوارو وكأنه آت من بعيد ... وتتأمل وجوه الاشخاص الخمسة المجتمعين فى الغرفة ، كما سبق ان اجتمعوا مع ابيها وامها ، منذ ستة عشر عاما

كانت تتأمل وجوههم وهى تظلل عينيها بيدها ، وكانت تتساءل: هل يمكن أن يكون أحدهم هو القاتل : الزا المستهترة ، أم فيليب الغاضب ، أم ميرديث الهادىء ، ام مس ويليامز الحازمة ، أم انجيلا الثابتة الرزينة ؟

هل تستطيع هى ، مهما حاولت ، أن تهتدى الى القاتل الحقيقى بين هؤلاء الاشخاص الخمسة الذى شهدوا المأساة ؟

هذا طبعا اذا لم تكن امها هى المذنبة !

لا ، ليس هذا ممكنا بعد ان رات هؤلاء الاشخاص راى العين

من المحتمل ان يقتل فيليب شخصا فى ساعة غضب ، أن يخنقه بيديه

ومن المحتمل أن يهدد ميرديث لصـــا يقتحم بيته ، بمسدس فارغ من الرصاص ، او من المحتمل أن يطلقه عليه ، رغما عنه

ومن المحتمل ان تطلق انجيلا مسدسها فعلا فى حالة الدفاع عن النفس ، دون تردد او خوف

ومن المحتمل ان تجلس الزا على هودج شرقى ، ثم تطلب من العبيد أن يلقوا بأحد المذنبين الى البحر ، بعد ان يقيدوا يديه وقدميه

أما مس ويليامز ، فانك اذا سألتها : « هل قتلت شخصا ما يامس ويليـــامز ؟ » فانها على الارجح ستجيب عليك قائلة : « التفت لدروسك ، وحاول أن تحل مسألة الحساب حلا صحيحا ، وحذار أن تسأل مرة اخرى مثل هذه الاسئلة الشريرة »

وقالت كارلا لنفسها :

« يبدو اننى مخطئة اشد الخطأ ، يبدو انى واهمة .. يجب أن أطلب من هذا الرجل بوارو أن يتوقف عن الحديث فى هذا الموضوع ، فليس من المعقول أن يكون بين هؤلاء مجرم رهيب »

ولكن بوارو كان قد بدأ الحديث فى صميم الموضـــوع ، وكان يقول :

ــ هذه هى المهمة التى كلفت بها ، أن أعد ادراجى عبر السنين ، لاكتشف حقيقة ما حدث و ...

وقال فيليب بليك :

ــ ولكننا ، هنا ، نعرف جميعا حقيقة ماحدث ، واذا حاول أحدنا أن يزعم غير هذا فهو مخطىء .. نعم ، انك تاخذ مالا من هذه الفتاة بغير مقابل ، هذه حقيقة لا جدال فيها ، انه نوع من الاحتيـــال والتغرير

وأبى بوارو ان يغضب ، ومن ثم قال :

ــ انك تقول انكم جميعا تعرفون حقيقة ما حدث ، والواقع انك تلقى بهذا القول فى غير تفكير ، فليس من الضرورى أن يكون كل ما قيل

عن حقائق المأساة صادقا تماما ، والدليل على هذا ، يا مستر بليك ، انك ذكرت فى تقريرك بوضوح أنك تكره كارولين ، وتحقد عليها ... فهل انت صادق فى هذا القول ؟ ان أى مبتدىء فى علم النفس يعرف ان الحقيقة هى العكس ، وان حقدك عليها نابع من رغبتك فيها ... من حبك المادى لها . لقد كنت دائما مفتونا بها ، خاضعا لجاذبيتها ، وكنت ثائرا على هذا الافتتان وهذا الخضوع،وكثيرا ما بذلت الجهد لمقاومة هذه الرغبة العارمة نحوها . وبسبب هذه الرغبة فى المقاومة ، ظللت توحى لنفسك بأنها امرأة شريرة ، خبيثة ، كثيرة العيوب ، متعددة الاخطاء ، جديرة بكراهيتك ، لا بحبك . وكذلك كان الامر مع اخيك ميرديث ، ولكن بطريقة مختلفة : كان ميرديث متفانيا فى حب كارولين ، وقد حاول فى تقريره ان يعبر عن هذا الحب بطريق غير مباشر .. أى عن طريق التنديد بأخطاء أمياس كريل وسوء تصرفاته معها ، وقسوته عليها .. ولكن ، اذا نحن أمعنا النظر فى تقريره ، لادركنا من بين السطور ، أن حبه لكارولين كان قد بدأ يخمد ويتلاشى ، ليحل محله حب آخر : حب الفتاة الصغيرة الجميلة الزا ، كان الواضح من تقريره ان الزا هى التى كانت تملأ عليه فكره وقلبه

وغمغم ميرديث بكلمات غامضة ...

وابتسمت الزا ديتشام ...

واستطرد بوارو يقول :

ــ انني اذكر هذه الحقائق على سبيل المثال ، وان كانت لهادلالاتها عن المأساة ذاتها ... حسنا ، لقد رحلت عبر السنين الى احداث هذه المأساة منذ ان كلفتنى مس كارلا بهذه المهمة ، تحدثت مع مفتش البوليس الذى تولى التحقيق ، وتحدثت مع الاشخاص الخمسة الذين شهدوا المأساة ، واستلمت تقاريرهم المكتوبة ، اعنى تحدثت اليكم واستلمت تقاريكم . وقد استطعت من هذا كله أن ارسم صورة واضحة لكارولين ، قبل المأساة ، وبعدها .. وفهمت من هذه الصورة ، ان كارولين ، بعد وقوع المأساة كانت مستعدة للموت ، مرحبة به ، رغم تكرار القول بأنها بريئة . ولكنها كانت فى رأى الجميع ، غير بريئة !

فقال فيليب :

ـ نعم ... هذه هي الحقيقة ، ان جميع القرائن الحاسمة تدل على ادانتها

فهز بوارو كتفيه وقال :

ـ ولكنني ، شخصيا ، لست ملزما بقبول قرارات الغير في هذا الشأن . كان واجبي يحتم على فحص هذه القرائن والادلة بنفسي . كان على ان اختبر هذه الحقائق وافحصها لارضي ضميري ، ولهذا السبب قمت بتحرياتي مع مفتش البوليس الذي تولى تحقيق الجريمة ، ومع الاشخاص الخمسة : معكم انتم ، يا من كنتم موجودين اثناء وقوع المأساة . وقد كتبتم مشكورين تقاريركم عنها ، وأستطيع ان اقول اني عثرت في هذه التقارير على ما كنت أبحث عنه ، كنت ابحث عن تفاصيل بسيطة غفل عنها رجال البوليس لفرط بساطتها ، ورغم اهميتها ، وهذه التفاصيل البسيطة الهامة هي : أولا : أحاديث معينة ، وتصرفات خاصة أهملها رجال البوليس على انها غير ذات اهمية ، وثانيا : آراء بعض الشخصيات المحيطة بكارولين عن تفكيرها ومشاعرها ، وانا اعترف ان المحكمة ما كانت تعتمد على هذه الآراء من الناحية القانونية ، ثالثا : حقائق معينة اخفيت عمدا عن رجال البوليس

وصمت بوارو برهة ، قبل ان يستطرد قائلا :

ـ ولكنى الآن في وضع يتيح لي الحكم في الموضوع بنفسي .. وانا لا انكر انه كان هناك الدافع القوي الذي يبرر ارتكاب كارولين لجريمة قتل زوجها ، فقد كانت تحب زوجها حبا جنونيا ، واعترف هو امامها بصراحة انه سيهجرها من اجل امراة اخرى ، واعترفت هي انها زوجة شديدة الغيرة

واذا انتقلنا من دوافع الجريمة الى الوسائل ، وجدنا انه عثر على زجاجة فارغة كانت تحتوى على سم الكونين في درج خزانة ملابسها ، وانه لم يوجد على هذه الزجاجة بصمات اصابع أحد غير بصماتها هي ، ولما سئلت عنها اثناء التحقيق ، اعترفت انها أخذت سم الكونين من هذه الغرفة التي نجلس فيها الآن ... وزجاجة الكونين التي كانت هنا ، كانت عليها أيضا بصمات اصابعها ، اى انها صادقة في هذا الاعتراف . ولما سالت المستر ميرديث عن ترتيب خروجكم من هذه الغرفة يومذاك ، قال ان كارولين كانت آخر من غادرها ، واهم من هذا

انه كان هو موليا ظهره اليها ، مشغولا بالحديث مع مس الزا جرير ، اى انه كان من المستحيل عليه أن يعرف ماذا كانت تفعل كارولين فى الغرفة قبل خروجها ، معنى هذا ان الفرصة كانت سانحة لها لكى تختلس كمية الكونين ، وأنا ، من هذه الناحية ، مطمئن تماما انها ، فعلا ، اخذت كمية من السم ... من هذه الغرفة ...

ومرة اخرى صمت بوارو ، فقال فيليب :

ـ اليس هذا الدليل وحده يكفى على ادانتها ؟

فابتسم بوارو وقال :

ـ مهلا يا مستر بليك ، لسوف نتابع الموضوع خطوة خطوة حسب ما ورد فى تقاريركم انتم ... اننى لن أقحم معلومات جديدة ليس لها اساس فى هذه التقريرات ...

ثم نظر الى ميرديث وقال :

ـ من الطريف فى هذا الموضوع ، أو فى هذه النقطة بالذات ، ان المستر ميرديث ذكر لى أثناء حديثه عنها ، انه كان يشم رائحة الياسمين تنساب من أشجار الياسمين النامية وراء النافذة ، وقد نسى أن الحادث وقع فى شهر سبتمبر ، اى فى شهر لا يمكن ان تتفتح فيه ازهار الياسمين ، ولكن الياسمين الذى شم رائحته فى ذلك الحين ، هو العطر الذى سكبته كارولين من زجاجة حقيبتها لتضع فيها كمية من سم الكونين ، واذا دل هذا على شىء ، فانما يدل على أن كارولين قررت فجأة ، وبعد سماعها عن مفعول الكونين الذى يميت بغير آلام ، أن تختلس كمية منه ، فأفرغت زجاجة العطر لهذا الغرض . وقد قمت أمس بتجربة بسيطة فى هذا الشأن مع مستر ميرديث ، فجعلته يغمض عينيه ليستعيد موكب الذكريات ، ثم لوحت أمامه بمنديل معطر بالياسمين ، فتتابعت الذكريات فى ذهنه ، وكلنا يعرف أثر الروائح فى بعث الذكريات من مرقدها

وعندئذ قال فيليب فى شىء من الضيق والضجر .

ـ ما معنى كل هـذه الادلة التى تسوقهـا لتثبت ان كارولين اختلست من هذه الغرفة كمية من السم ... أما يكفى اعترافها ؟

فابتسم بوارو وقال :

ـ بعض المتهمين يدلون ، لأسباب خاصة ، باعترافات غير صحيحة !

ــ حسنا ، ولكن جميع الادلة ، مع اعتراف كارولين ، قد اثبتت انها هى ، لا احد آخر ، التى اختلست كمية السم .. فلماذا كل هذا الاستطراد ؟

ومرة اخرى أبى بوارو أن يغضب ، ثم قال :

ــ أردت من هذا الاستطراد أن اثبت بالدليل القاطع أن كارولين هى فعلا وقولا التى اختلست السم

فقال فيليب فى صوت ينم عن السخرية :

ــ وبالتالى لتثبت ، قولا وفعلا ، انها هى التى ارتكبت الجريمة ، وأعتقد أن رجال البوليس كانوا أسبق منك فى هذا الشأن

ــ مهلا يامستر فيليب بليك ، لسوف انتقل الى نقطة اخرى لا يستطيع احد ان يمارى فيها ، فقد اجتمعت اقوال الشهود على أن الزا جرير صارحت كارولين بعزمها على الزواج من أمياس ، وأن أمياس اعترف لزوجته بهذه الحقيقة ، وأن كارولين كانت فى حالة نفسية سيئة بعد هذا الاعتراف . حسنا ... كل هذا مفروغ منه . لننتقل الآن الى الاحداث التى وقعت فى صباح يوم المأساة . فى هذا الصباح وقعت مشادة أو مشاجرة أو شىء من هذا القبيل بين أمياس وزوجته فى غرفة المكتبة .. وقد سمعها مستر فيليب بليك ، وهو يمر بالصالة ، وكذلك سمعتها الزا جرير ، وهى جالسة تحت نافذة غرفة المكتبة ، تقول بصريح العبارة لزوجها : «هكذا انت مع نسائك .. لسوف اقتلك فى يوم ما » . وقد ذكرت الزا جرير انها سمعت أمياس وهو يطلب من زوجته أن تتعقل وتتزن ولا تتهور فى تصرفاتها ، فأجابت كارولين عليه بأنها تفضل أن تراه ميتا على ان يتزوج من هذه « الفتاة » . ثم غادر أمياس غرفة المكتبة وطلب من الزا جرير ان تمضى معه الى حديقة البحر ؛ لكى تجلس معه فى الوضع الخاص حتى يفرغ من رسم اللوحة ، فطلبت منه أن ينتظر قليلا ريثما تأتى بصديريتها الصوفية لتحتمى بها من برودة هواء البحر

وصمت بوارو برهة قبل أن يقول مستطردا :

ــ الى هنا ونحن نجد تصرفات كل شخصية فى المأساة تبدو طبيعية متناسقة من جميع النواحى السيكولوجية ... فقد كان كل واحد يتصرف كما هو منتظر منه . ولكننا سننتقل الآن الى مرحلة بدت

فيها بعض التصرفات غير منطقية ، وغير منتظرة ، ومع ذلك لم يحاول احد ، يومذاك ، ان يسأل عن السبب

وتحولت نبرات صوت بوارو فجأة من البســاطة واللين ، الى الجد والحزم وهو يقول :

ـ اكتشف ميرديث بليك سرقة ـ او ضياع ـ كمية من ســم الكونين من معمله فى الصباح ، فاتصل تليفونيا بأخيه فيليب الذى كان ينزل ضيفا على أمياس وكارولين ، وطلب منه فيليب أن يسرع بالحضور الى قصر آلدربرى ليتبادل معه الحديث فى هــذا الامر .. وذهب هو ، أى فيليب لاستقبال اخيه عند ضفة الخليج ، وفيما هما عائدان الى القصر فى الممر ، سمعا كارولين تتناقش مع زوجها امياس بشأن الحاق انجيلا بالمدرسة . فما رأيكم فى هذا التصرف ؟ هل هو يتناسق ويتطابق من الناحية السيكولوجية ؟ هل هو تصرف منطقى معقول ؟ الم يخطر ببال أحد ان يتساءل كيف يتناقش زوجان فى موضوع بسيط يخص الحاق انجيلا بالمدرسة ، بعد هذه المشاجرة العنيفة التى سمعت فيها الزوجة وهى تهدد زوجها بالموت ؟ ايمكن أن يحدث هذا ؟ ايمكن ان تتشاجر زوجة مع زوجها الى حد تهديده بالموت ، ثم تذهب اليه بعد عشرين دقيقة لكى تتناقش معه فى موضوع الحاق أختها بالمدرسة ؟

□

والتفت بوراو الى ميرديث وقال له :

ـ لقد ذكرت فى تقريرك انك سمعت أمياس كريل يقول لزوجته : « لقد انتهى كل شىء ، ولسوف ترحل » أليس كذلك ؟

فقال ميرديث فورا :

ـ نعم ... سمعت هذه العبارة بوضوح

وقال فيليب مؤكدا :

ـ نعم ... اذكر انى سمعت شيئا من هذا القبيل ، ونحن نقترب من باب حديقة البحر

فقال له بوارو :

ـ هل انت متأكد تماما انك سمعت هذه العبارة او ما معناها

فقطب فيليب جبينه وقال :

ـ نعم ... طبعا ، سمعت شيئا عن حزم الحقائب والرحيل

ـ وكان المتحدث امياس كريل ، وليست كارولين ؟

ـ بكل تأكيد ... واذكر أن كارولين قالت له انه شديد القسوة على الفتاة ، لماذا تلح في هذه الاسئلة .. فقد كنا نعرف أن الموضوع يتعلق بترحيل انجيلا الى المدرسة

وقال ميرديث :

ـ نعم ، فان كارولين حين راتنا ابتسمت ، وقالت انها كانت تتحدث مع زوجها بخصوص الحاق انجيلا بالمدرسة ، واصراره على ترحيلها في اقرب فرصة ..

وقال فيليب :

ـ ولكن ، ما علاقة هذا كله بارتكاب الجريمة يا مسيو بوارو ؟

فابتسم بوارو وقال :

ـ ان لها اكبر علاقة ، انها الخيط الاول من الضوء الذى هدانى الى الحقيقة .. وقد اتصل به مباشرة خيط آخر زاد الحقيقة ضوءا ، وذلك ان كارولين ، المخذولة ، المهجورة ، الكسيرة الجناح التى تفكر فى الانتحار ، او تدبر مقتل زوجها ، والتى هددته علانية بالموت ، كارولين هذه ، تعد زوجها فى هدوء ورضاء بأن تأتى اليه بزجاجة بيرة مثلوجة بعد ان أعرب عن اشمئزازه من البيرة الساخنة الموجودة فى الحديقة فهل مثل هذا التصرف أيضا يطـــابق قوانين علم النفس البدهية ؟

فقال فيليب بليك :

ـ نعم ... انه تصرف معقول ما دامت تدبر مقتل زوجها ، فقد كانت فرصتها السانحة لتدس له السم فى الشراب

فقال بوارو :

ـ اتعتقد هذا ؛ اذا كانت قررت فعلا دس السم لزوجها ، واذا

كان زوجها يحتفظ ببضع زجاجات من البيرة فى الحديقة : فلماذا لم تضع هذا السم فى زجاجة او اثنتين من هذه الزجاجات التى ثبت انها لم تكن تزيد عن ثلاث ؟ وكان هذا فى مقدورها دون أن يراها أحد ؟

فهز فيليب راسه وقال :

ـ لا . . لم يكن فى مقدورها ان تفعل هذا خشية ان يشرب شخص آخر من الزجاجة المسممة

فابتسم بوارو وقال :

ـ شخص آخر ؟ مثل الزا جرير مثلا ؟ اتريد أن تقول لى ان المراة التى قررت قتل زوجها ، سوف تخشى من قتل عشيقته خطأ ؟

وصمت بوارو برهة قبل ان يستطرد قائلا :

ـ ولكن . . . دعونا من هــذه الاحتمـــالات ولنركز اهتمامنـــا بالحقائق ، لقد قالت كارولين انها ستبعث الى زوجها بزجاجة بيرة مثلوجة ، ثم صعدت الى القصر ، وتناولت من الثلاجة زجاجة بيرة ، وعادت بها اليه ، وصبت منها فى الكأس التى كانت موضوعة بجانبه ، وشرب هو الكأس فى جرعة واحدة ، وبدا عليه التأفف وقال : « كل شىء فى فمى اليوم مر . . . » ثم عادت كارولين الى القصر بعد ذلك ، وحل موعد طعام الغداء ، وجلست هى مع الضيوف كالمعتاد لتناول الطعام ، وقد اجتمعت الآراء على انها كانت ثابتة لايبدو عليها غير شىء يسير جدا من القلق ، ولكن هذا لا يهم ، فهناك قاتلات ثابتات الاعصاب يقتلن القتيل ويمشين فى جنازته ، وهناك قاتلات متوترات الاعصاب ، تنم تصرفاتهن على اضطراب نفوسهن . ولهذا السبب فلن أهتم كثيرا بهذه النقطة . وبعد الغداء ، ذهبت كارولين لتنظر فيما اذا كان زوجها محتاجا الى شىء . وهناك وجدته ميتا . . . ونستطيع ان نقول انها اضطربت ، وانها ارسلت مس ويليامز لاستدعاءالطبيب ، وهناسننتقل الى حقيقة لم يسبق أن عرفها احد منكم غير مس ويليامز . . .

ثم التفت الى مس ويليامز ، فلما أومات له براسها ، قال :

ـ والتقت مس ويليامز،وهى فى طريقها الى التليفون ، بمستر

ميرديث ، فكلفته بمهمة استدعاء الطبيب ، وعادت مسرعة الى كارولين لتبقى بجانبها . فماذا تظنون انها رات ؟

□

وخيم الصمت الرهيب على غرفة المعمل المهجور ، بينما استطرد بوارو يقول :

ـ رات كارولين وهى تزيل بمنديلها آثار بصمات اصابعهـا من زجاجة البيرة ، وتطبع عليها بصمات اصابع زوجها

وشحب وجه كارلا ، واتسعت عينا انجيلا وارين ، وغمغم ميرديث بكلمات غامضة ، وقال فيليب :

ـ ألم اقل . . .

ولكن الزا جرير ، او الليدى ديتشام تململت فى مقعدها ، ونظرت الى مس ويليامز فى دهشة بالغة وقالت :

ـ أرأيتها حقا . . . تفعل هذا ؟

فقالت مس ويليامز فى صوت ينم عن الاحتقار :

ـ اننى لم اتعود الكذب فى التفاهات ، فكيف اكذب فى الخطير من الامور ؟

ووثب فيليب قائلا :

ـ ان هذا يضع حدا للأمر كله ، فلا داعى للمزيد من الحديث ،

واعتقد يا مسيو بوارو انك لم تفعل أكثر من ان اكدت ادانة كارولين بطريقة لا تدع للشك مجالا . . .

فنظر بوارو اليه فى هدوء وقال :

ـ من قال هذا ؟

وقالت انجيلا فى صوت حاد :

ـ اننى لا اصدق هذا . . . ابدا !

وراح ميرديث يشد شعيرات شاربه فى اضطراب ، وظلت مس ويليامز هادئة فى مكانها تقول بثبات :

ـ هذا ما رأيته بعيني ، واقسم على ذلك امام الله

وقال بوارو بهدوء :

ـ ليس لدينا طبعا أى دليل يثبت هذه الحقيقة غير كلمة مس ويليامز

فنظرت مس ويليامز اليه بثبات وقالت :

ـ نعم . . . ولكنى لم اعتد أن توضع كلمتى موضع الشك

فأومأ بوارو لها برأسه وقال :

ـ وأنا يامس ويليامز لا أشك فيما تقولين ، لقد رأيت فعلا ماحدث، ولهذا السبب بالذات ، أى ما قامت به كارولين من ازالة بصمات أصابعها عن زجاجة البيرة وطبع بصمات زوجها ، قررت عن يقين وتأكيد بأنها لم ترتكب هذه الجريمة ، ولا يمكن بأى حال من الاحوال أن تكون هى المذنبة

ولأول مرة ، قال الشاب الطويل جون راتيرى ، خطيب كارلا ، فى صوت هادىء :

ـ يهمنى أن أعرف يا مسيو بوارو لماذا تقول هذا ؟

فالتفت بوارو اليه وقال باسما :

ـ سوف أخبرك ، ماذا رأت مس ويليامز ؟ رأت كارولين تزيل فى لهفة بمنديلها آثار كل ما على الزجاجة من بصمات ، آثاربصمات أصابعها هى طبعا ، وآثار أية بصمات أخرى ايضا ، ثم تطبع عليها بصمات اصابع زوجها الميت . . وارجو ان تستوعبوا هذه الحقيقة الهامة جدا ، وهى أنها فعلت هذا بزجاجة البيرة ، أليس كذلك يامس ويليامز ؟

فأومأت مس ويليامز برأسها قائلة :

ـ نعم . . . بزجاجة البيرة

فابتسم بوارو ابتسامة المنتصر وقال :

ـ هذا مع العلم بأن التحليل الطبى أثبت بصفة قاطعة ان سم الكونين لم يكن موجودا بزجاجة البيرة ، وانما وجدت آثاره فى الكأس الموضوعة بجانبها ، التى كان امياس يشرب منها . . فما معنى هذا ؟ معناه الواضح أن كارولين لم تكن تعرف الحقيقة ، وانما ظنت فقط

أن الكونين كان موضوعا فى زجاجة البيرة ، فهل يستطيع عاقل بعد هذا ان يصدق انها قاتلة زوجها ، رغم أنها لم تكن تعرف أين دس السم فى شرابه ؟

فقال فيليب بليك دهشا :

ــ ولكن ... لماذا حاولت أن ...

فقاطعه بوارو بحدة :

ــ نعم ... لماذا ؟ لماذا ازالت بصمات اصابعها واصابع غيرها من الزجاجة ، وطبعت عليها بصمات أصابع زوجها ... نعم لماذا ؟ من حق كل انسان أن يسأل ، ومن واجبى أنا ، أنا الباحث عن الحقيقة ، ان اجيب اجابة مقنعة ، لاسبيل الى الشك فيها ، وهذه الاجابة هى : انها كانت تعرف من الذى قتل زوجها ، وأنها على استعداد لان تفعل أى شىء ، وأن تحتمل أى شىء ، حتى تبعد التهمة عن ذلك الشخص

وصمت بوارو برهة قبــل أن يردف قائلا وهو يشيح بوجهه عن انجيلا وارين :

ــ ومن السهل علينا أن نعرف من هى الشخصية التى كانت كارولين على استعداد لاحتمال اى شىء من اجلها ، فهل يمكن أن تكون هــــذه الشخصية الغالية : فيليب بليك أو ميرديث ، أو مس ويليامز ، أو الزا جرير ؟ لا ... لا يمكن أن يكون أحد هؤلاء اغلى على كارولين من حياتها ... اذن فمن تكون ؟

وصمت بوارو برهة قبل أن يوجه الحديث الى انجيلا وارين قائلا :

ــ مس وارين ! اذا كنت قد أحضرت معك الخطاب الذى أرسلته اليك أختك بعد صدور الحكم ، فأرجو أن تسمحى لى بقراءته هنا

فقالت انجيلا بحدة :

ــ لا ...

ــ ولكن ... يا مس وارين ان الامر

فوثبت انجيلا قائلة :

ــ اننى أفهم تماما ماذا تعنى ، انك تريد أن تقول اننى انا قاتلة أمياس كريل ، أليس كذلك ، أنا قاتلة أمياس ؟ وقد حاولت أختى أن تحمينى وتتستر على . ولكننى انكر هذا الاتهام المزعوم بكل قوة

ــ الخطاب يا مس وارين

ـ ان هذا الخطاب من شئوني الخاصة ، لقد أرسل لى ، لا لاحد غيرى

ونظر بوارو الى كارلا وخطيبها الواقفين معا فى شيء من الاضطراب ، وعندئذ قالت كارلا فى رجاء :

ـ أرجو منك يا خالتى انجيلا ، أرجو منك ، لماذا لاتسمحين بقراءة الخطاب ؟

فقالت انجيلا :

ـ عجبا يا كارلا ؟ كيف تقبلين هذا ؟ انها أمك . . . ولا يجوز . . .

فانساب صوت كارلا واضحا رنانا فى الغرفة :

ـ نعم ، انها امى ، ولهذا السبب اطلب منك أن يقرأ خطابها هنا ، فان هذا من حقى

فهزت انجيلا كتفيها ، وفى بطء شديد أخرجت من حقيبة يدها الخطاب وسلمته الى بوارو الذى قراه بصوت مسموع للجميع ، واحست كارلا فجاة بأن شخصا ما دخل الغرفة ، كأن ظلالا تجمعت، وتجسدت .. وان هذه الظلال المجسدة تنصت معها فى لهفة الى كلمات الخطاب ، وهتفت كارلا لنفسها لاهثة الانفاس : « انها هنا .. امى كارولين كريل معنا فى هذه الغرفة ! »

وتوقف بوارو عن القراءة بعد أن فرغ من تلاوة الخطاب ، ثم قال :

ـ انه خطاب مدهش ، اليس كذلك ؟ خطاب عجيب ، رائع .. ولكن الذى يلفت النظر فيه هو انه خال تماما من اى ادعاء ببراءتها

فقالت انجيلا :

ـ لا داعى لان تؤكد لى براءتها ، لانى اعرف انها بريئة ، وهى ايضا تعرف هذه الحقيقة البدهية ، فلماذا تؤكدها لى ؟

ـ نعم يا مس وارين ، كانت كارولين تعرف تماما انها بريئة، وانك واثقة من براءتها ، بل انك أكثر الناس ثقة بهذه البراءة ، لقد كان همها فقط فى هذا الخطاب هو ان تواسيك وتهدىء من اعصابك، وتؤكد لك انها ليست آسفة او نادمة او حزينة ، وأن عليك أن تنسى كل شيء ، وتعيشى حياتك فى سعادة ونجاح

ــ من البدهي أن ترجو اخت لاختها كل سعادة ونجاح في الحياة

ــ نعم ، ولكن لا تنسى انها كانت لها طفلة في الخامسة من عمرها ، ومع ذلك فقد كان كل تفكيرها متجها اليك أنت دون طفلتها ، انها لم تفكر في طفلتها الا اخيرا ، وهي على فراش الموت ولم تكتب لها شيئا اكثر من انها بريئة ، اما من ناحيتك انت ، فقد كانت في اشد حالات القلق ، كانت تريد ان تؤكد لك أنها ليست آسفة ، وانها ستحتمل العبء راضية « لان على الانسان ان يدفع ثمن ما جنت يداه » كما ذكرت في نص خطابها ، ان هذه العبارة توضح كل شيء أنها تبين مدى الآلام النفسية التي تحملتها منذ ان اصابت اختها في ساعة غضب وغيرة اصابة سببت لها عاهة مستديمة ، ولكن هاهي ذي الاقدار قد أتاحت لها الفرصة لدفع الثمن . ولكي تخفف عن نفسها الآلام الرهيبة ووخز الضمير ، وأنا أستطيع ان أؤكـــد ان كارولين ، بعد أن دفعت هذا الثمن ، أحست بســـكينة النفس ، وهدوء البال، وراحة الضمير، بل احست بلون من السعادة الروحية لم يسبق لها مثيل في حياتها . لقد كانت تعتقد أنها دفعت ثمن الذنب الذي ارتكبته في حق اختها . ولهذا احتملت اجراءاتالمحاكمة في صبر واستسلام ورضاء . كان الناس يظنون انه استسلام المجرم لمصيره ، وأنا اقول ، كما سأبين لكم ، انه استسلام الانسان لراحة الضمير

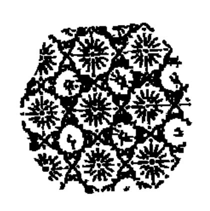
□

وصمت بوارو برهة قبل أن يستطرد قائلا :

ــ والآن سأذكر لكم تسلسل الاحداث وانطباقها على الحقــائق ، واتفاق بعضها مع بعض وتناسقها التام مع المبادىء البدهية لعــلم النفــس . . فنبدأ أولا بحادثة بسيطة وقعت في مساء اليوم السابق على المأساة . . تلك هي حادثة المشاجرة الصبيانية التي وقعت بين انجيلا وامياس بشأن الالتحاق بالمدرسة . لقد القت انجيــلا على أمياس بثقالة ورق ، ودعت عليه دعوات سيئة ، ثم انطلقت باكية الى غرفتها ، لقد أعاد هذا المنظر ، منظر القاء ثقالة الورق علىأمياس، الى ذهن كارولين ذكريات الحادث الذىاصابت فيهاختهابثقالة ورق، اصابة كادت أن تكون قاتلة ، وقد صاحت انجيلا في أمياس ، انهــا تتمنى لو تراه ميتا ، وفي ضحى اليوم التالي ، ذهبت كارولين الى

ثلاجة القصر لتأخذ منها زجاجة مثلوجة لزوجها ، وهناك وجدت انجيلا واقفة وفى يدها زجاجة ، وعلى وجهها « أمارات من ارتكبت ذنبا » ، وهذا هو التعبير الذى ذكرته مس ويليامز فى تقريرها ، وكانت مس ويليامز تقصد من هذا التعبير شعور انجيلا بخطئها فى الهرب منها طوال فترة الصباح ، ولكن كارولين تذكرت فيما بعد « امارات الشعور بالذنب » هذه ، وفهمت منها شيئا آخر ... نعم، لا تنسوا أن انجيلا اعتادت أن تداعب أمياس وتضع فى شرابه اشياء مرة المذاق .. وهكذا اخذت كارولين زجاجة البيرة المثلوجة ،ومضت بها الى زوجها فى حديقة البحر ، وسكبت منها فى الكأس الموضوعة على منضدة بجانبه ، وشرب هو الكأس فى جرعة واحدة ، وتأفف من مذاقها قائلا ان كل شيء فى فمه مر هذا اليوم ، ولكن كارولين لم تشك فى شيء عندئذ .. ولكنها ، بعد ان اكتشفت موت زوجها عقب طعام الغداء ، شكت فى الامر ، بل ايقنت أنه مات مسمما ، ولكنها هى لم ترتكب الجريمة ، فمن اذن الذى ارتكبها ؟ وتذكرت كل شيء فى لحظة .. تذكرت رغبة انجيلا فى رؤية أمياس ميتا ، تذكرت « أمارات الشعور بالذنب » على وجهها وهى واقفة بجانب الثلاجة تعبث بالزجاجات ، ولكن ، لماذا فعلت الصبية هذا ؟ لاشك أنها لم تكن تقصد ان تقتله ، لعلها ارادت فقط أن نغيظه ، أن تجعله يمرض .. أو أنها قتلته فعلا من أجلها هى .. من اجل كارولين ؟ مهما يكن السبب ، فقد كادت هى ، وهى فى مثل هذه المرحلة من العمر ، ان تقتل اختها ، فلماذا لا تفعل انجيلا هذا ايضا ؟ حسنا ، يجب اذن أن تحمى انجيلا بأى ثمن ، لقد أمسكت الفتاة بالزجاجة التى دست فيها السم ، فيجب اذن ان تزيل عن الزجاجة كل آثار للبصمات .. انها لم تكن تزيل بصماتها هى ، وانما بصمات انجيلا ايضا ، وهو المهم ... ثم ماذا ايضا ؟ يجب ان تجعل كل انسان يعتقد ان أمياس مات منتحرا . وانها لم تفكر فى تلك اللحظة ان الناس من الناحية النفسية ، لن يصدقوا انتحار أمياس ، ان كل همها كان مركزا فى انقاذ انجيلا بأى ثمن ، وهكذا طبعت بصمات اصابع زوجها على الزجاجة ، وكانت تعمل هذا كله بسرعة واضطراب وحذر ،

وهى ترهف السمع هنا وهناك . واذا نحن نظرنا الى الموضـــوع من هذه الزاوية ، أدركنا ان كل شيء بعد ذلك يتفق معه ... ادركنا سر استسلام كارولين اثناء المحاكمة مع الاصرار على براءتها ، وسر قلقها الشديد على انجيلا ، وسر رغبتها فى ابعادها فوراً عن مسرح المأساة الى الريف ، ثم سر اصرارها على ابعادها خارج البلاد خوفا من أن تنهار أعصاب الفتاة وتعترف بكل شيء



الفصل السادس عشر

الحقيقة العجيبة

واستدارت انجيلا وارين نحو الجميع ، ثم قالت بصوت حاد وعينين متألقتين بالغضب :

ــ انكم جميعا اغبياء حمقى ، الا تعرفون أني لو كنت المذنبة ، لاعترفت بالحقيقة ولما تركت أختى الحبيبة تتحمل الوزر عنى !

فقال بوارو :

ــ ولكنك عبثت فعلا بمحتويات زجاجة البيرة التى حملتها كارولين الى امياس !

ــ أنا ؟ ربما ... فاني لا أذكر تماما ، ولكن لا ... لقد تذكرت الآن فقط... عجبا لقد عبثت بمحتويات احدى الزجاجات حقا ، ولكنى لم أضع فيها سما ، وانما هذه المادة التى سبق أن وضعتها فى شراب امياس اكثر من مرة ، انها مادة لا تضر ، وأذكر انها تسمى « مصيدة القطط » لأن رائحتها تجذب القطط ، وأذكر الآن حقا انى ذهبت فى الصباح الى منزل مستر ميرديث وتسللت الى هذه الغرفة عن طريق النافذة واختلست كمية من هذه المادة

فقال ميرديث :

ــ آه ... عندما شعرت كأن قطة تدخل هذه الغرفة ... صباحا !

فقال بوارو :

ــ ان الذى جعلك تشعر بوجود قطة بالذات ، هو تشممك لرائحة هذه المادة ، ما اسمها ؟

ــ فاليريان ...

ــ نعم ، ان لك حاسة شم قوية ، وقد أوحت لك هذه الرائحة

ما ان احدى القطط هي التى تسللت من فتحة النافذة ، وهى فتحة ولا شك كانت كافية لدخول طفلة منها ...

فقالت انجيلا :

ــ نعم ... اذكر أنى دخلت من فتحة النافذة بعــد أن رفعت المصراع قليلا ، وعدت الى القصر من طريق آخــر . وهــذا يفسر « أمارات الشعور بالذنب » التى رأتها مس ويليامز واختى كارولين علي وجهى بعد أن اغلقت زجاجة البيرة

وتوقفت انجيلا برهة ثم قالت :

ــ ولكننى تذكرت الآن شيئا آخر ، شــــيئا هاما جدا ، تذكرت اننى لم اجد الفرصة الكافية لأضع المادة فى الزجاجة فى ذلك اليوم ، لاننى ماكدت احملها من الثلاجة لاعبث بها حتى اقبلت مس ويليامز واختى كارولين ، نعم ، اقسم أنى لم اعبث فى ذلك اليوم بمحتويات اية زجاجة !

ثم أردفت بصوت هادىء وهى تنتقل بنظراتها من وجه الى آخر:

ــ اننى لم اقتل أمياس كريل ، لا عمدا ، ولا نتيجة مداعبة ثقيلة ... ولو انى فعلت هذا لاعترفت بكل شيء

وقالت مس ويليامز :

ــ طبعا ياعزيزتى ، لن يتهمك بقتل أمياس الا كل احمق غبى

ثم نظرت الى بوارو فى تحد وغضب

وابتسم بوارو وقال :

ــ اننى لست غبيا ، ولا أحمق ، ولهــذا لا أتهم انجيلا بارتكاب هذه الجريمة ، لانى أعرف عن يقين من قتل أمياس كريل !...

ثم صمت برهة وأردف قائلا :

ــ من الخطر دائما أن نقبل بعض التصرفات على انها حقائق ثابتة غير قابلة للشك ، بينما هى فى الواقع أبعد ما تكون عن الحقيقة ، ولنأخذ ــ مثلا ــ الموقف فى قصر آلدربرى ... انه موقف الصراع الخالد بين امرأتين من اجل رجل واحد ... ولقد تقبلنا ببساطة وبداهة هذه الحقيقة ، حقيقة عزم أمياس كريل على هجر زوجته والزواج من الزا جرير ، وتلك احــدى الحقائق الخادعة التى ليس فيها من الحقيقة الا اســمها . ولهذا اقول ان أمياس لم يكن عازما ، أبدا ، على هجر زوجته او الانفصال عنها

وصمت بوارو برهة ، وراح يطوف بنظراته على وجوه الجميع ، قبل أن يستطرد قائلا :

ـ كان أمياس يجرى وراء النساء ، ويظل مفتونا بالواحدة منهن طالما كانت نزوة الحب العابرة تربط بينهما ، فاذا خمدت هذه النزوة ، نسى كل شيء عن صاحبته هذه ، ليبحث عن غيرها ، وهكذا . . وكانت غرامياته تدور حول نوع معين من النساء المجربات ، النساء اللائى يعرفن حقيقة العاطفة المتقلبة التى تجيش فى صدر هذا الفنان . ولهذا لم تكن احداهن تنتظر منه الكثير . . كل واحدة منهن كانت تعرف ان علاقته بها مجرد نزوة طارئة ، لن تلبث حتى تزول ، ولكن الزا كانت تختلف . . . لم تكن امراة . . . وانما كانت اقرب الى طفلة ، كانت فتاة قليلة التجربة ، عديمة الخبرة أو تكاد . وكما شهد الجميع ، كانت مخلصة فى حبها لأمياس ، مفتونة به ، متفانية فيه ، واثقة منه . انها قد تكون فى نظر الجميع ، جريئة ، مستهترة فى بعض تصرفاتها ، صريحة أكثر مما ينبغى ، لايهمها أحد، ولا تهتم بغير رغباتها . قد تكون هذه كلها بعض صفاتها ، ولكن المؤكد انها أحبت امياس حبا عجيبا : حب الانثى لاول رجل ، حب الفتاة لفتى الاحلام . وكانت تعتقد بل توقن ، لفرط استغراقها فى الحب ، انه يبادلها هذه العاطفة الجبارة بمثلها ، كانت تؤمن ايمانا عميقا ان هذا الحب ، هو حب الحياة ، وحب العمر كله . . . كانت واثقة انه ، دون أن تطلب منه ، سيهجر زوجته من أجلها

ومرة أخرى صمت بوارو برهة ، قبل أن يستأنف حديثه قائلا :

ـ ولكن ، قد يتساءل أحدكم : لماذا تركها امياس تعيش فى هذا الوهم الكبير ؟ لماذا لم يحاول أن يصارحها بالحقيقة ؟ الاجابة على هذا ، هى : الصورة ! انهذه الاجابة قد تبدو للبعض غريبة شاذة ، غير معقولة . . ولكنها لن تكون كذلك لمن يعرف نفسية الفنانين ، ان الفنان الاصيل الموهوب يقدم فنه على كل شيء ، وهكذا كان الحال مع امياس . كانت اللوحة فى نظره هى كل شيء . ونحن نستطيع أن نفهم الآن معنى حديث أمياس كريل مع مستر ميرديث بليك عندما ربت كتفه وقال له ضاحكا : « اطمئن ياصديقى أن كل شيء سينتهى على خير . . » . أرأيتم ؟ كان كل شيء فى نظر امياس بسيطا ، سهلا، ينتهى بالخير . . انه مشغول برسم لوحة يعتبرها من أعظم اللوحات

التى رسمها فى حياته ، وانه لن يدع غيرة امرأتين تعوقه عن اتمام هذه اللوحة ، اللوحة التى يعتبرها اعظم شىء فى حياته

وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتى بوارو ، وهو يستطرد قائلا :

ــ لو أن أمياس صارح الزا بحقيقة مشاعره نحوها ، اعنى لو انه عاملها كما كان يعامل غيرها من النساء ، يعيش مع الواحدة منهن اسبوعا او بضعة اسابيع ثم يهجرها ، اذن لثارت عليه ، وابت أن تجعله يتم الصورة .. اللوحة .. العمل الفنى الذى كان يراه أهم شىء فى حياته يومذاك . ومن المحتمل جدا أنه ، فى غمرة حماس حبه لها فى اول الامر ، قد حدثها عن الزواج ، وعن هجره لزوجته. وليس هو أول عاشق يخدع حبيبته ، الفتاة ، بالحديث عن الزواج او لعله ترك الزا تعتقد فى قرارة نفسها انه يحبها هذا الحب الذى يجعله فى النهاية يضحى بزوجته وابنته من اجلها . فماذا يهمه ؟ لتعتقد مايشاء لها الحب أن تعتقد ، ولتظن مايريد لها الهوى من الظنون ، انه لن يحفل بما تعتقد ، وبما تظن . . وانما هو يحفل بشىء واحد فقط ، الا وهو اتمام اللوحة بأى ثمن . وكان يعزى نفسه فى غمرة هذه المحنة ، بأن الامر كله لن يحتاج الى اكثر من يومين أو ثلاثة ، ثم ينتهى كل شىء ، على خير ، كما قال ميرديث . . نعم ، ينتهى كلُّ شىء ، فى رأيه ، على خير ، حين يصارح الزا بحقيقة مشاعره . حين يقول لها ان كل شىء بينهما قد انتهى . حين يؤكد لها بأنه لا يستطيع أن يهجر زوجته وابنته . وكلنا نعرف انه ،رحمه الله ، كان رجلا مستهترا بعواطف النساء ، ولكن ينبغى الا ننسى انه حذر الزا ، فى أول علاقته بها من نفسه ، لقد صارحها بحقيقته وذكر لها اى رجل هو ، ولكنها ابت ان تأخذ هذا التحذير مأخذ الجد ، واندفعت الى قدرها المقدور بكل عواطفها . اندفعت تلقى بنفسها بين ذراعى رجل يرى المراة لعبة بين يديه . واذا انت سألته عن هذا ، لقال لك ضاحكا ان الزا شابة صغيرة ، وانها لن تلبث أن تفيق من صدمة هذا الحب ، لكى تبحث عن حب آخر ، وهكذا . ذلك هو أمياس ، وتلك هى آراؤه عن الحب وعن النساء

وصمت بوارو فترة وجيزة ، قبل أن يردف قائلا :

ـ ولكن زوجته ، كارولين ، كانت المرأة الوحيدة التى يحبها من صميم قلبه ، ولا يطيق الانفصال عنها الى الابد ، وكان حبــه لهــا يزداد ، وتقديره لشخصيتها يتضاعف كلما تسامحت معه ، وصبرت على تصرفاته ، وقدرت الدوافع التى تجعله يجرى بين الحين والآخـر وراء هـذه المرأة أو تلك ، ثم يعود اليها نادما مستغفرا ! وكان أثناء رسم اللوحة مطمئنا من ناحيتها ، كان يعرف انها ، لاجله ، ستصبر على هذا الوضع الشاذ يومين أو ثلاثة حتى يفرغ من رسم اللوحة ، وهذا هو سر ثورته وغضبه على الزا حين أحرجت مركزه بحديثها عن الزواج أمام زوجته . لقد وجد نفسه فجأة فى أصيل اليوم السابق على المأساة فى موقف لا يحسد عليه ، وجد نفسه بين الزا وزوجته. فهو اذا أغضب الزا وطردها من القصر ، فانه لايستطيع أن يتم اللوحة، ومن ثم تضيع كل جهوده فيهـا سدى .. اذن ماذا يفعل ؟ لم يكن أمامه الا انه يعتمد على تسامح زوجته . والا انه يؤلمها مرة اخرى ، ثم يبين لها حقيقة الموقف بعد يوم أو يومين، هكذا كان أمياس يفكر، وهكذا كان يحل مشاكله بمثل هذه السهولة والبساطة

ولكنه ، فى مساء اليوم نفسه ، شعر بالقلق على كارولين ، لا على الزا ، ولعله ذهب الى غرفتها فى المساء ليوضح لها الامر ، فأبت أن تحدثه ... وأيا كان الامر ، فانه بعد ليلة من القلق والهم ، انفرد بها فى غرفة المكتبة عقب طعام الافطار ، وصـارحها بالحقيقـة ... صارحها بأنه لم يعـد يحب الزا ، وأن شــعوره نحوها لايزيد عن شعوره نحو النساء الاخريات ، مجرد نزوة عابرة ، وأنه لن يتردد فى ترحيلها عن القصر بعد أن يفرغ من رسم اللوحـة ، أى بعد يوم أو اثنين على الاكثر . ولا شك أن كارولين أجابت عليه عندئذ هاتفة فى نفور وغضب : « هكذا أنت دائما مع نسائك ، لسوف أقتلك يوما » ان هذه العبارة قد وضعت الزا فى مستوى « نســائه » السابقات . ومع ذلك كانت كارولين غاضبة منه ، مشمئزة من تصرفاته ، تعتقد أنه اشتد فى قسوته على الفتاة الغافلة ، ولما رآها فيليب بعد ذلك فى الصالة ، أعنى كارولين ، وســمعها تقول لنفسها فى ذهــول : يا للقسوة » فانما كانت تعبر عن قسوة أمياس على الزا ، لا عليها هى

أما عن كريل ، فقد غادر غرفة المكتبة ، ورأى الزا فى الشرفة مع

فيليب بليك ، فطلب منها ــ بخشونة ــ أن تمضي معه الى حديقة البحر لتجلس في الوضع المطلوب ، حتى يفرغ من اتمام اللوحة ، ولكن الشيء الذى لم يكن يعرفه هو أن الزا كانت جالسة تحت نافذة المكتبة من الخارج ، وأنها سمعت وعرفت كل شيء . وان ما كتبته في تقريرها وما تحدثت به في شهادتها أثناء المحاكمة لم يكن الحقيقة كلها

□

ومرة أخرى صمت بوارو برهة ، قبل أن يستأنف تحليله للموقف قائلا :

ــ ويمكنكم أن تتصوروا الصدمة التى أصابتها حين تبينت الحقيقة .. حقيقة شعور أمياس نحوها .. وكانت في اليوم السابق على المأساة ، أعنى عند زيارتها مع الجميع لبيت ميرديث بليك ، قد وقفت تتحدث معه خارج باب هذه الغرفة ، بعد أن فرغ هو من محاضرته عن هوايته . وقد ذكر ميرديث أنه كان واقفا يحادثها وظهره الى باب الغرفة ، ومن ثم أمكنها أن ترى كارولين وهى تختلس سم الكونين من الزجاجة ، وقد اعترفت هي بذلك ، اعترفت أنها رأت كارولين وهى تأخذ كمية من السم من زجاجة الكونين .. ولكنها لم تقل شيئا لاحد في تلك الليلة ، ولعلها لم تكن تعرف ماذا أخذت كارولين ، أو لعلها عرفت ، ولكنها ظنت أن كارولين أخذت هذا السم لتنتحر به ، وأيا كان الامر ، فقد فكرت في هذا السم وهى جالسة تنصت الى الحقيقة تحت نافذة المكتبة . فلما طلب منها أمياس، بعد ذلك ، أن تذهب معه الى حديقة البحر ، استأذنت منه قائلة انها ستصعد لتأتي بصديريتها الصوفية لتحتمى بها من برد هواء البحر . وقد صعدت لا لتأتي بالصديرية فحسب ، وانما لتظفر بكمية الكونين من غرفة كارولين ، والنساء عادة يعرفن بالغريزة المكان الذى تخفى فيه غيرهن من النساء بعض الاشياء ، وهكذا لم تجد الزا صعوبة في العثور على زجاجة الكونين في درج خزانة ملابس كارولين، وحتى لا تترك بصمات أصابعها على الزجاجة ، أخذت الكمية بطريقة « الشفط » في خزان قلم حبر ، ثم هبطت مسرعة الى أمياس ، وذهبت معه الى حديقة البحر ، وانتهزت أول فرصة ، ووضعت السم

في كأس البيرة ــ الساخنة ــ دون أن يراها ، وشرب هو الكأس كعادته في جرعة واحدة

وفي نفس الوقت كانت كارولين مضطربة بسبب قسوة زوجها على الزا ، فلما رأتها تعود الى القصر لتحضر معطفها الصوفي الاحمر ، أسرعت الى زوجها في حديقة البحر ، وراحت تعنفه على قسوته ، وتطلب منه أن يترفق بالفتاة المسكينة ، وأن يقطع صلته بها تدريجيا حتى لا يصدمها وهي في أول عهدها بالحياة ، ولكنه أجاب عليها بعنف ، بأن « كل شيء قد انتهى .. وأنها لابد أن ترحل في أسرع وقت » ، وفي تلك اللحظة سمعا وقع أقدام تقترب ، اقدام فيليب وميرديث بليك ، فاضطربت كارولين ، وخرجت اليهما تحاول الابتسام قائلة انها كانت تتناقش مع زوجها في موضوع الحاق أنجيلا بالمدرسة . وبطبيعة الحال ظن الاخوان ، ولهما العذر ، أن المناقشة أو المشاجرة ، كانت خاصة بموضوع انجيلا ، وأن قول أمياس عن انتهاء كل شيء ، والرحيل في أسرع وقت ، كان يقصد به انجيلا لا الزا طبعا . وعندئذ أقبلت الزا وفي يدها المعطف الصوفي الاحمر ، هادئة ، باسمة ، واستأنفت جلستها في الوضع المناسب

□

وصمت بوارو برهة ليلتقط انفاسه ، قبل أن يعود الى الحديث قائلا :

ــ كانت الزا تعتمد ، ولا شك ، على أن تهمة قتل أمياس سوف تقع في النهاية على كاهل كارولين ، وذلك عندما يعثر المسئولون على زجاجة الكونين في غرفتها وعليها بصمات أصابعها . والعجيب أن كارولين ضاعفت من الخطر المحدق بها حين أحضرت بنفسها زجاجة البيرة المثلوجة ، وصبت منها في كأس زوجها . وجرع هو الكأس دفعة واحدة كعادته ثم تأفف وقال : « كل شيء في فمي اليوم مر .. » . فما معنى هذا ؟ معناه الواضح ان شيئا آخر كان مرا في فمه قبل هذه الكأس ، وماذا يكون هذا الشيء غير الكأس الاولى التي قدمتها الزا له مسممة بالكونين ، وقد جعل هذا السم ــ البطيء المفعول كما قال ميرديث ــ لسان أمياس مرا ، وأخذ كل شيء يتسم بالمرارة ، وقد ذكر بليك في تقريره أن أمياس كان يترنح قليلا وهو يعود للعمل بعد عودة الزا بالمعطف الاحمر ، وظن أنه أسرف في الشرب ، والتمس له العذر

بسبب المشكلات النسائية التي يعانيها ، أما الحقيقة ، وأما السبب الحقيقي في هذا الترنح ، فهو أن مفعول الكونين كان قد بدأ يسرى في جسمه ...

وهكذا جلست الزا في الوضع الخاص على سور الحديقة ، ولكي تجعله لا يشك في الامر الا بعد فوات الفرصة ، راحت تثرثر معه في مرح مصطنع عن المستقبل ، وعن شهر العسل في أسبانيا ، وعن حفلات مصارعة الثيران التي تنوى أن تشاهدها معه ، وقد سمع ميرديث طرفا من هذا الحديث وهو جالس في الهضبة المشرفة على الحديقة .. وقد لوحت الزا اليه بذراعها ، وبذلت كل جهدها لتبدو طبيعية في تصرفاتها

أما أمياس كريل ، الذى كان يكره الاعتراف بالمرض . فقد ظل يواصل الرسم بعناد برغم شعوره العنيف بتصلب عضلاته ، وكان، كما قال ، يظن الامر بوادر روماتزم عضلي .. فلمادق جرس الغداء، استلقى على المقعد الخشبي المستطيل متهالكا ، وكان المسكين عندئذ قد شل تماما بحيث أصبح عاجزا عن طلب النجدة .. وأعتقد أن الزا في تلك اللحظات ، أسرعت وأفرغت بقية قطرات السم منخزانة قلم الحبر في كأس البيرة ، وذلك قبل أن يهبط ميرديث من الهضبة ويصل الى باب الحديقة لكي يصحبها معه الى القصر للغداء .. وقد تخلصت من خزان قلم الحبر أثناء سيرها في الممر حيث داست عليه بقدمها .. أما أمياس ، فنحن لا ندرى ماذا كان شعوره في اللحظات الاخيرة : هل عرف الحقيقة ؟ هل داخله الشك ؟ المهم أنه أثبت اصالة فنه ، وروعة عبقريته في اللمسات الاخيرة التي رسم بها العينين في اللوحة

ثم اشار بوارو الى اللوحة المعلقة في غرفة العمل ، وأردف قائلا :

ـ انظروا الى هاتين العينين ، وتأملوهما بامعان .. لسوف ترون أن أمياس رسمهما بصدق غريزى ، رسمهما وهو لا يشعر . رسم عيني قاتلة ، عيني قاتلة كانت ترقب ضحيتها وهو ... يموت !

النهاية

في ذلك السكون الرهيب المخيم على الغرفة ، تلاشى آخر شعاع من الشمس الغاربة عن النافذة ، وذلك بعد أن استقر برهة على الوجه الشاحب .. وجه الزا جرير ، التى اصبحت الليدى ديتشام

وتململت هي في مكانها قليلا ، ثم قالت لبوارو :

ـ دعهم يخرجوا جميعا ...

وظلت في مكانها ساكنة حتى خرج الجميع ، فيما عدا بوارو الذي تبادل نظرات خاصة مع الاخوين ، فيليب وميرديث بليك

وأخيرا قالت :

ـ انك بارع ... بارع جدا يامسيو بوارو ، أليس كذلك ؟

ولم يجب بوارو ... وعادت هي تقول :

ـ وماذا تنوى أن تفعل بعد ذلك ؟

ـ اخبريني أنت أولا ، ماذا تنوين أن تفعلى ؟

فهزت كتفيها وقالت :

ـ انني لا أدرى ، ان حياتى في الواقع انتهت في تلك اللحظة التى سمعت فيها الحقيقة من أمياس وهو يتحدث مع كارولين في غرفة المكتبة . في تلك اللحظة ، أحسست كأن شيئا في أعماق نفسي قد مات وانتهى ، لقد تحولت كل عواطفي الانسانية أو الحيوانية ، اذا شئت ، الى عاطفة واحدة ... هي الحقد والرغبة في الانتقام ، وكنت قد رأيت كارولين وهي تأخذ كمية من سم الكونين من هذه الغرفة ، وخطر لى في أول الامر أنها قررت الانتحار .. ومن ثم لم أشأ أن أقول شيئا ، ولماذا أقول ؟ أليس من الافضل لى ، ولأمياس ، ان تنتحر وتفسح لنا الطريق .. هكذا حدثت نفسي ، ولكنني حين سمعته يقول لها في صباح اليوم التالى ، انه لم يعد يهتم بأمرى في قليل أو كثير ، وأنه سيطردني من القصر بعد أن يفرغ من الصورة ،

تذكرت فعلا هذا السم ٠٠ تذكرته وأنا ألتهب بالحقد عليه٠٠وعليها هى التى رثت لحالى ، وحزنت من أجلى ، واتهمت زوجها بالقسوة على .. ان أسعد لحظة فى حياتى ، هى اللحظة التى كنت أراه فيها وهو يموت تدريجيا . لقد وضعت السم فى كأسه الاولى، تماما كما ذكرت انت ، ووضعت بقاياه فى الكأس التى تبقت فيها قطرات من البيرة المثلوجة التى حملتها اليه كارولين ، وكنت أتمنى أن أراها معلقة فى حبل المشنقة ، ولكن الشيء الذى لم أنبينه فيما بعد ، هو أننى قتلت نفسى أيضا بهذه الجريمة التى ارتكبتها ! يقال ان بعض القتلة يعيشون هادئين ، مطمئنين ، ما دام سرهم خافيا عن الجميع ، ولكنى لم أكن من هؤلاء ، لقد كنت أعيش وصورة أمياس فى لحظاته الاخيرة لاتفارق ذهنى ، كنت أعيش وأنا ميتة حية اذا صح هذا التعبير ٠٠ ولست أرجو منك الآن ، الا أن تتركنى حتى الصباح ، وعندئذ ستعرف أنت ، والجميع ، كل شيء ٠٠٠

ونهضت كالشبح ، وسارت خارج الغرفة ، ومرت فى طريقها بشاب وفتاة ، بجون راتيرى ، وكارلا ... باثنين بدآ يشعران بجمال الحياة

وفى الصباح ، فوجىء قراء الصحف ، فى طول البلاد وعرضها بنبأ انتحار الليدى الزا ديتشام ، وباعتراف شامل ، يحمل توقيعها ، عن الجريمة التى ارتكبتها ٠٠٠ وقد ختمت اعترافها بقولها :

« لقد غفلت عنى عدالة الارض ، ولكن بعد ستة عشر عاما ، أمسكت بتلابيبى عدالة السماء ٠٠ حقا ان عين الله الساهرة ، لاتغفل ، ولا تنام »

القصص العالمية للجميع

الفرسان الثلاثة "جزئين"	اسكندر ديماس
الكونت دي مونت كريستو	"
ذهب مع الريح "جزئين"	مارغريت ميتشل
رجال ونساء .. وحب	جون شتاينبك
ليلة غرام	سومرست موم
كنت جاسوساً	"
غادة الكاميليا	مارسيل سوريت
جريمة في الريفيرا	جورج سيمنون
الأرض الطيبة	بيرل باك
عذارى المعبد	"
ايفانهو "أو الفارس الأسود"	سير والتر سكوت
دافيد كوبرفيلد	شارلز ديكنز
أحدب نوتردام	فيكتور هيغو
آلام فرتر	يوهان جوته
العجوز والبحر	ارنست همنغواي
سوف تشرق الشمس	"
الكأس الأخيرة	اجاثا كريستي
عدالة السماء	"
القاتل الخفي	"
الرجل الغامض	"
غادة طيبة	"
عذراء وثلاثة رجال	جيمس هيلتون

مطابع المؤسسة العامة للوسائل التعليمية حلب المنارة المظفرة